

خالد بكداش

العرب والحرب الاهلية في اسبانيا

دمشق – سوريا
١٩٣٧



خالد بكداش

خالد بكداش

العــــرب
والحرب الاهليــــة
فى اسبانيــــا

دمشق ـ سوريا

١٩٣٧

— ١ —

الفاشستية ام الديموقراطية ؟

...

العرب يناضلون لاجل حريتهم فلن يشاطروا في قتل حرية غيرهم !..

منذ خمسة اشهر تقريباً ، في الايام الاولى للحرب الفتاكة التي اعلنها فرانكو على اسبانيا بمساعدة هتلر وموسوليني اللذين قدما له ، وما زالا يقدمان بدون حساب ، الاموال والطيارات والقنابل ليسفك بها دماء شعبه ويدمر وطنه ، القى الاستاذ رياض الصلح ، الزعيم الوطني السوري المعروف وعضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي العالمي ، نداء الى العرب نشرته كل الصحف العربية واكثر صحف العالم ، استنكر فيه حركة الفاشست الاسبانيين وحمل على مساعيهم المرذولة في خداع عرب الريف وسكان مراكش الاسبانية وتجنيدهم مقابل بضع دريهمات — او بواسطة التهديد وتحت ضربات السوط — لمقاتلة الشعب الاسباني المدافع عن حرياته الديموقراطية وحقوقه الانسانية واستقلال بلاده التي يرمي هتلر الى استعمارها بمساعدة حليفه بل خادمه الجنرال فرانكو .

قال رياض الصلح في ندائه مخاطباً سكان مراكش : « ما كان

العرب يوماً بمرتزقة ! » ، وقال ايضاً : ان العرب لا يستطيعون المشاطرة في قتل الشعب الاسباني الذي تربطهم به اواصر تاريخية وثقافية متينة .

« ما كان العرب يوما بمرتزقة ! » . اجل ، ان ابناء عبدالكريم بطل الريف ، وابناء عبد القادر الجزائري ، واخوان السنوسيين في طرابلس الغرب ، وابناء عرابي باشا في مصر ، واخوان فؤاد حجازي في فلسطين ، ورفاق يوسف العظمة وحسن الخراط وسعيد العاص في سوريا ، ما كانوا ولن يكونوا بمرتزقة ! ان العرب جميعاً ، ابناء خالد بن الوليد ، وورثة المتنبي ، الذين يعرفون قيمة الحرية ، الذين قدموا وما زالوا يقدمون وسيقدمون مئات والوف الضحايا في سبيل حريتهم السليبة ، لا يستطيعون ان يشتركوا في سفك دماء شعب يدافع عن حريته واستقلاله . لا يستطيعون ان يساعدوا شرذمة الفاشستي فرانكو الذي خان وطنه ، خان اليمين العسكرية التي اقسمها بالاخلاص لبلاده وتكريس حياته وخبرته للذود عن حياض الجمهورية الاسبانية ، وتآمر مع هتلر وموسوليني ووعدهما مقابل مساعدتهما بجعل اسبانيا قاعدة حربية لهما وارضاً فسيحة لاستعمارهما.

هذا جوهر كلمة رياض الصلح . هذه الكلمة التي صفقنا لها جميعاً ، لانها كانت محاولة محمودة في المضمار الدولي لانقاذ سمعة العرب التي عمل فرانكو على تشويهها بتجنيد بعض المرتزقة في الريف . ولم يرتفع اذ ذاك صوت عربي واحد في استنكارها جهراً او شجبها على رؤوس الاشهاد او القول بما يخالف ولو قليلاً مبناها وجوهرها .

موقف الساسة العرب من الحرب الاهلية في اسبانيا

ولكن خلال هذه الاشهر التي انقضت، اخذ يتبين يوماً بعد يوم ، ان نداء رياض الصلح لا يعبر الا عن رأي سواد العرب ، وان هنا وهناك بين بعض الساسة العرب آراء متضاربة عن الموقف الذي يجدر بالعرب اتخاذه تجاه الحرب الاهلية في اسبانيا بصورة خاصة ، وتجاه الحرب القائمة في العالم بين الفاشستية والديموقراطية بصورة عامة .

ففي الاستطاعة الآن القول بان الرأي في اوساط الساسة العرب يذهب في ثلاثة اتجاهات مختلفة :

اولا ، اتجاه يقول بان ماضي العرب وتقاليدهم الديموقراطية ونضالهم لاجل حريتهم واستقلال كل قطر من اقطارهم ، وكذلك مصالحهم الوطنية والاجتماعية المباشرة منها والبعيدة ، تحتم عليهم استنكار حركة فرانكو الفاشستية في اسبانيا وتأييد الشعب الاسباني الملتف حول حكومة الجمهورية ومحاربة كل الحركات الفاشستية في العالم : هتلرية كانت او موسولينية ، افرنسية او انكليزية . واصحاب هذا الاتجاه هم الوحيدون الذين يجهرون برأيهم ويدعون اليه جهراً، بل يفخرون بالدعوة اليه .

ثانياً ، اتجاه يقول بان الصراع القائم بين الفاشستية والديموقراطية هو حادث اوروبي ، ليس للعرب فيه ناقة ولا جمل . فسواء لديهم

ان ينتصر فرانكو او يندحر في اسبانيا ، وان يفوز الكولونيل دى لاروك او يفشل في فرنسا ، وان ينجح اوسفالد موزلى اويخيب في انكلترا .

ثالثاً ، اتجاه يقول بان انتصار الفاشستية قد يعود بالخير على العرب . فهذا فرانكو يعد بمنح الريف استقلالاً ذاتياً ، وقد دفع كمية من المال لعبد الخالق طوريس ، احد زعماء الكتلة الوطنية في الريف ، لاصدار جريدة . وهذا موسوليني اعاد الى بعض عرب طرابلس الغرب ماشيتهم (وان كان قبل ذلك القى زعماءهم ومحاربيهم الاشاوس من اعالي الطيارات) ، وهوذا اليوم يعمل على « تمدين » الحبشة بعد ان « انقذها » — و«خلص مسلميها» على الاخص — من « نير » النجاشي !... واصحاب هذا الاتجاه لا يجرأون على الجهر برأيهم كما هو ، عارياً عن كل طلاء وزخرفة . ولكنهم يطربون ويبسمون للصياح الفاشستي : « هايل هتلر » و « فيفا الدوتشه » !

ونحن هنا ، بتصنيفنا هذا ، ندع جانباً اولئك العرب — وجلهم من الشبان — الذين يسمون انفسهم « فاشست » دون ان يفهموا شيئاً عن جوهر الفاشستية واسسها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. دون ان يدركوا ان الفاشستية — كما تولدت في المانيا وايطاليا وغيرها من الاقطار الغربية — حركة رجعية استعمارية تمثل مصالح فئة ضئيلة من افظع طغاة المال وارباب البنوك واكبر الرجعيين واشد الاستعماريين طغياناً واكثرهم احتقاراً للشعوب الضعيفة المظلومة . دون ان يفهموا ان الفاشستية لا محل لها ولا اساس في البلاد العربية ولا في اية بقعة مستعمرة مظلومة . دون ان يفهموا ان العربي لا يمكن ان يكون

فاشستياً صحيحاً ــ حتى ولو اراد ذلك بكل جوارحه ومهما استهوته مظاهر الشخشخة والتضليل التي تحيط بها هتلر وموسوليني ديكتاتوريتهما الوحشية .

اما العربي الذي يريد ــ مهما كلفه الامر ــ ان يحمل لقب فاشستي ، فليعلم بانه لن يكون في احسن الحالات سوى آلة في يد الفاشست الحقيقيين . آلة في يد مستعمر اجنبي . آلة في يد هتلر الالماني او موسوليني الايطالي او دى لاروك الافرنسي او اوسفالد موزلى الانكليزي ! اما ان يكون فاشستياً عربياً ، اي منتمياً الى فاشستية عربية ، فذلك لن يتيسر له مهما خادعوه ومهما خادع نفسه .

وهذا شيء لا يفهمه البعض على الاسف ، خصوصاً بعض الشبان العرب الذين خدعتهم اضاليل هتلر واكاذيبه عن « انقاذه الامة الالمانية » وعمله على « رفع شرف الوطن » . فيحسبون ان الفاشستية في جوهرها حركة وطنية تحريرية ــ مع انها افظع الحركات الاستعمارية ــ ويدفعهم حقدهم المشروع المقدس على الاستعمار الى ادخال الطرق الفاشستية في الحركة الوطنية العربية ، فتراهم يحيون على الطريقة الرومانية ، كأن تقاليد العرب وماضيهم وتاريخهم هي افقر من ان تقدم لهم في حركتهم الوطنية طريقة في التحية عربية وشكلاً في التنظيم عربياً ، فيقلدون الطغاة الفاشست الغربيين ، اي يقلدون مرهقيهم ومضطهديهم وسافكي دماء اخوانهم المظلومين في العالم اجمع .

اما اولئك الذين يتناولون الاموال من عملاء هتلر وموسوليني

ويعملون بالاتفاق مع الموظفين الفاشست الرجعيين من افرنسيين وانكليز ، فهؤلاء خونة مدركون ، خونة لشعبهم ووطنهم ، لانهم في احسن الحالات يعملون على ابدال الاستعمار الافرنسي بالاستعمار الالماني ، والاستعمار الانكليزي بالاستعمار الايطالي ، اي يعملون على سوق شعبهم من « تحت الدلف لتحت المزراب » !

من المصيب ؟

الدفاع عن مصالح الشعوب العربية قانوننا . ولا نعرف قانوناً سواه . كل ما قلنا ونقول به ، كل ما قمنا ونقوم به ، لنا من ورائه غاية واحدة واضحة ، هي حرية بلادنا واستقلال وطننا والحصول على حرياتنا الشعبية وحقوقنا الديموقراطية والعمل على تحسين حالة شعبنا ورفع غائلة البؤس عنه والسير به نحو مستقبل امين تسوده السعادة ويعمه الاخاء ، لا اثر فيه للارهاق الوطني والاجتماعي .

ومصلحة الشعوب العربية تفرض علينا ان نكون من انصار الرأي الاول القائل بان الفاشستية ألد اعداء الاقطار العربية . ونحن مقتنعون كل الاقتناع باننا نخدم هكذا مصلحة العرب ، ولذلك نعمل بكل قوانا على مقاومة هجوم الفاشستية في اي قطر كان ، لان انتصارها يؤدي على الاقل الى امرين خطيرين : اولهما ، تعريض الشعوب العربية الى ارهاق وطني واجتماعي وحشي بربري ، لا يعد امامه الارهاق الذي لاقيناه ونلاقيه الا شيئاً يسيراً ! ؛

ثانيهما ، اندلاع حرب عالمية استعمارية يكون البحر الابيض المتوسط والاقطار العربية من أهم ميادينها . حرب فظيعة يهلك في غازاتها ونيرانها مئات الالوف من شباب العرب وشيوخهم واطفالهم ونسائهم .

قد يكون هنالك من يجادل في صحة هذا . ولذلك نرانا مضطرين الى درس الفاشستية بصورة عامة درساً سريعاً ، ثم الوقوف على الحرب الاهلية القائمة في اسبانيا بصورة خاصة ، لكي نستخلص من كل هذا اننا وجدنا الصهيون وان عطف العرب لا يمكن ان يكون الا في جانب الشعب الاسباني ، وان العرب لا يستطيعون الا ان يستنكروا حركة الجنرال فرانكو ، جلاد شعبه وخائن وطنه ، الذي يضلل بعرب مراكش ويرميهم في أتون حرب بغيضة لا يكتسبون من انتصار فرانكو فيها الا تقوية اغلال استعبادهم .

ما هي الفاشستية ؟

لقد تبين عملياً ، بعد وصول الفاشست الى الحكم في ايطاليا والمانيا والنمسا والمجر وغيرها من الاقطار الاوربية ، وكما يتبين الآن من عمال فرانكو الوحشية في اسبانيا : ان الفاشستية هي الديكتاتورية الارهابية المكشوفة لاكبر الرجعيين وافظع الاستعماريين .

او بعبارة اخرى : الفاشستية هي حركة يقوم بها ويغذيها نفر من اكبر اصحاب الملايين ، ارباب المال واصحاب البنوك ، اصحاب معامل

الاسلحة وتجار الموت ، الذين يرمون الى اقامة سلطتهم المطلقة على شعبهم واستعمار الشعوب الاخرى ، فيمحون في بلادهم كل أثر للديموقراطية والحريات الانسانية الاولية : يحلون البرلمان ويقضون على كل الاحزاب السياسية ، والشعبية منها على الخصوص ، ويسحقون بالاقدام كل فكرة انسانية تقدمية ترمي الى الرقي الاجتماعي . ولاجل ذلك يستعملون الارهاب الوحشي ، فيسفكون دماء الابرياء ويضعون عشرات ومئات الالوف في السجون ومعسكرات الاعتقال .

وعندما نقول ان الفاشستية حركة كبار اصحاب المال وارباب الملايين الغربيين ، لا نرمي الكلام جزافاً ولا نتبع اعتقاداً حزبياً ، بل نقرر الواقع الواضح الملموس . فالشركات والبنوك الكبرى هي التي تغذي الحركات الفاشستية في كل مكان . وكل الناس في فرنسا يعرفون ان المسيو فندل ، احد عمدة لجنة معامل الحديد واكبر اصحاب المناجم والمعادن ، هو عضو في جمعية الصليب الناري الفاشستية ورقم تذكرته ١٣ . وكل الناس في الدنيا يعرفون كذلك ان الذين غذوا حركة هتلر بالاموال الهائلة هم تيسن وكروب وسواهما من اكبر اصحاب معامل الاسلحة وتجار المدافع والغازات في المانيا .

ولكن لم كل هذا ؟... لماذا يريد كبار اصحاب الملايين محو الديموقراطية ؟ ان هذه الديموقراطية ، بنظمها البرلمانية والدستورية وحرياتها الخاصة المعروفة التي اولدتها الثورة الافرنسية وثورات عديدة بعدها ، قد خدمت الرأسماليين الغربيين مدة طويلة في حفظ سيطرتهم وتحقيق مآربهم في استثمار اكثرية الشعب . بل ان هذه الديموقراطية التي لا تزال سائدة في بعض اقطار الغرب ، هي صنيعة الرأسمالية

نفسها . فالرأسمالية، هي التي في دور نشأتها ، خلال وبعد الثورة الفرنسية ، حاربت الحكم المطلق وسيطرة كبار الاقطاعيين وتغلبت عليهم باسم الديموقراطية وباسم الحريات الشعبية وباسم الحرية والعدلة والمساواة . فماذا جرى ؟ ماذا طرأ على هذه الديموقراطية حتى اصبحت امها الرأسمالية تنكرها وتكرهها وتحاول سحقها؟ لماذا يقوم كبار الرأسماليين فينظمون حركات فاشستية تسعى لمحو آخر اثر للديموقراطية؟ لاي سبب ينكر كبار ارباب المال الديموقراطية ، بينما اكثرية الشعب — العمال والفلاحين والصناع والبرجوازيين الصغار — اصبحوا حاملي لوائها والدافعين عنها ، مع ان هذه الديموقراطية ليست بالنسبة اليهم الا شكلاً خاصاً من اشكال الارهاق والاستثمار ؟ الجواب بسيط . لقد خدمت الديموقراطية اصحاب الملايين في حفظ سيطرتهم مدة طويلة ، اما الآن فلم تعد تفيدهم بل اخذت تتحول ضدهم، اذ اخذت الجماهير الشعبية تستعملها في سبيل مصالحها .

كان ارباب المال الاوربيون يستغلون الديموقراطية في سبيل مصالحهم وكما يريدون ويشوهون حقيقتها ؛ فيعطون للحرية مثلاً معنى يوافق اهوائهم الاستثمارية : حرية تخفيض الاجور ، حرية طرد العمال ، حرية القضاء على التجار والصناع واصحاب المعامل الصغيرة بالديون والفوائد ، حرية توجيه السياسة الخارجية فيما يوافق مآربهم الاستعمارية ، حرية اعلان الحرب وسفك دماء الملايين في سبيل الاستيلاء على بقعة اوسوق جديدة لاستثمار رؤوس اموالهم وتصريف بضائعهم ... الخ ...

وهكذا كانوا لا يخفون تحت ستار الديموقراطية سوى سيطرتهم، ولا تخدمهم الا في فرض ارادتهم . اما الانتخابات البرلمانية « الحرة » فيستخدمونها للتغطية على العيون وارسال من يريدون الى البرلمان بمختلف وسائل الرشوة والتهويل والدعاية الكاذبة الخادعة .

ولكن الآن اصبح ذلك صعباً عليهم . فالجماهير الشعبية يتقدم ادراكها السياسي يوماً بعد يوم . وقد اخذت تحارب كل تشويه للديموقراطية وتعمل على استخدام الحريات الديموقراطية في سبيل تحسين حالتها ، وتناضل لاجل ان تكون المبادئ الديموقراطية لا مبادئ مكتوبة على الورق فحسب، بل حقائق واقعة يجري تطبيقها . وعوضاً عن ان تنتخب للبرلمان فلاناً الرأسمالي او الاقطاعي ، تنتخب ممثليها الشعبيين الحقيقيين الذين يعملون في البرلمان نفسه على الدفاع عن مصالحها ومقاومة ارهاق ارباب المال وطغاة البنوك — الذين يعرف العرب جميعاً كثيراً من الوان طغيانهم واستعبادهم .

وهكذا يصبح عسيراً على كبار اصحاب الملايين وارباب البنوك فرض ارادتهم عن طريق الرشوة والافساد وتضييق الحريات الديموقراطية ، فيلجأون عندئذ الى الفاشستية ويدعون لاقامة ديكتاتورية مكشوفة فظة تسمح لهم بفرض ارادتهم على الشعب وتنفيذ مآربهم بالارهاب والسجن ، بالرصاص والفأس والمشنقة .

ومن هنا يرى القارئ بوضوح ان من المستحيل قيام « فاشستية عربية » ، فليس في الاقطار العربية ولا في اية بقعة مستعمرة ، اساس لظهور حركة فاشستية محلية . فعسى ان يفهم ذلك من تستهويهم « التحية الرومانية » !

وقبل الانتهاء من بحث الفاشستية ، نرى من الواجب ايضاح نقطة هامة جداً قد تساعد على تبديد اوهام من يحسبون الفاشستية حركة وطنية تحريرية تعمل على توحيد الشعب وتقوية كيان الامة ! قد يسألنا البعض: تقولون ان الفاشستية عدو اكثرية الشعب ، وحركة فئة ضئيلة من كبار ارباب المال وطغاة الرجعيين وافظع الاستعماريين ؛ ولكن كيف تتمكن اذاً من جر ورائها عدد كبير من الجماهير ، قد يتجاوز احياناً الملايين . كما جرى في المانيا مثلاً ؟

تختلف الفاشستية عن كل الحركات الرجعية التي سبقتها في التاريخ. لا من حيث مبناها وجوهرها فقط ، بل كذلك من حيث طرقها واساليبها . فهي لا تعلن انها محافظة رجعية ، بل تقول انها حركة تقدمية تريد القيام بثورة. وبالرغم من انها تريد وقف دولاب التاريخ والرجوع بشعب بلادها الى الوراء وسحق كل فكرة تقدمية ، علمية او اجتماعية ، تدعي انها تريد السير الى الامام .

وبالرغم من انها حركة افظع الرأسماليين ، تعلن انها تحارب الرأسمالية وتدعي بانها تريد انقاذ الشعب من ويلاتها واقامة نظام اقتصادي جديد. فتسمي نفسها « وطنية اشتراكية » في المانيا و« نقابية » في ايطاليا . كما انها تؤلف جيوشاً لها تنفق عليها بسخاء وسعة من اموال ارباب البنوك وطغاة اصحاب الملايين : مثل فرق الهجوم الهتلرية والميليشيا الفاشستية عند موسوليني ومتطوعة الصليب الناري عند دى لاروك الافرنسي ، الخ ... ومن جملة غاياتها في تنظيم هذه الجيوش ، ايهام الناس بانها تستند على الشعب لا على ارادة ذئاب المجتمع واموال المسيطرين .

ويحمل الفاشست بشدة على الديموقراطية ويدعون ان كل بلاء الشعب منها . ويستفيدون من انتشار الرشوة والافساد في الحكومات الديموقراطية فيصرحون بانهم يريدون نظاماً جديداً نظيفاً .

يضرب الفاشست ايضاً على شعور الجماهير الوطني ، فيدعون بانهم يعملون لعظمة بلادهم والدفاع عن مصالح شعبهم الوطنية . ولكي يحولوا انتباه الجماهير عن استثمار اسيادهم طغاة المال ، يقولون ان كل البلاء في المانيا من اليهود ، وفي فرنسا من الاجانب عامة .

ثم يكثرون الوعود . فقد وعد هتلر وموسوليني بمصادرة كبار الشركات وجعلها ملكاً للشعب ، ووعد هتلر بمصادرة اراضي كبار الملاكين العقاريين الالمان وتوزيعها على الفلاحين .

ولكن بعد وصول الفاشست الى الحكم ، يضربون بكل هذه الوعود عرض الحائط ولا يجلبون لشعبهم الا الشقاء والدمار وزيادة البؤس والاستعباد . وكل من يذكرهم بوعودهم يكون نصيبه معسكر الاعتقال او السجن او فأس الجلاد ! ويحرمون الشعب من الخبز لانفاق الملايين على صنع المدافع والغازات ولتهيئة حرب مهلكة يسعون اليها بكل قواهم ويرمون من ورائها الى تقوية سيطرتهم الاستعمارية والحصول على مستعمرات جديدة .

وللفاشست اراء في الحرب وكيفية القيام بها ، تتجاوز كل حد معروف في الوحشية والازدراء بحياة الشعوب . اسمع ما كتبه احد اركان قيادة الجيش الالماني الحالي ، الضابط « شوزلاند » ، في مقال اسماه « خيرات التدمير الجوي على السكان » . يقول هذا الضابط الهتلري لطياريه :

« صوّبوا جيداً . القوا قنابلكم على اكثر الاحياء سكاناً . ففي هذه الاحياء يزدحم الرعاع ولذا يكون منظر الصيد فتاناً . اجتنبوا الاحياء الغنية الفخمة ، فالاغنياء هم نخبة البلاد .»

« فلندمر ، يا اصدقائي ، ولنخرب القيم الاجتماعية الرديئة ! »

« ثم لا تنسوا « الحثالات البشرية » التي يجب ان لا توفروها . فهناك المرضى والعصبيين ، فاولئك سيموتون من الخوف ، وهؤلاء يضيعون صوابهم ويسجنون في مستشفيات المجانين . وهكذا يصبح المجتمع نظيفاً ».

هكذا فهم المدنية المسيو شوزلاند واسياده الفاشست في كل العالم ، وسوف نرى فيما يأتي من الكلام ان فرانكو يتبع هذه النصائح حرفياً في تدمير مدريد . فليسمع العرب ! فليسمع اولئك الذين تفتنهم التحية الرومانية وليحذروا من ان يستغل الوحوش اخلاصهم لبلادهم وحبهم لوطنهم ! فليسمع كذلك من خدعتهم وعود موسوليني وعطاياه ، وليرجعوا الى ضميرهم العربي ، الى شعورهم الوطني ، وليتساءلوا : كيف يكون مصير الشعوب العربية اذا ما انتصر الفاشست الذين ينظرون الى الانسان نظرة الضابط شوزلاند ؟

فالفاشستية اذاً حركة رجعية استعمارية وحشية ، ترمي الى اقامة ديكتاتورية ارهابية ، لا تتردد امام اي شيء في تنفيذ مآربها ، طريقتها المثلى الارهاب وسفك الدماء . تعمل على تقييد الشعب وحرمانه من كل حرية وخنق كل حركة تقدمية ، لكي يتيسر لاصحاب الملايين وطغاة البنوك اقامة حكمهم المطلق وتنفيذ برامجهم المجرمة التي يمكن

تلخيصها فيما يلي :

تأمين مرابح هائلة بامتصاص دماء شعبهم نفسه ، انفاق مئات الملايين ، التي تجمع على حساب تجويع شعبهم ، في صنع المدافع والغازات والاسلحة المتنوعة لاجل اخضاع الشعوب الاخرى وسفك دمائها ، العمل على اشعال نيران حرب عالمية فتاكة هائلة (يقومون بها على طريقة شوزلاند) يأملون من ورائها تمكين مركزهم الاستعماري الدولي وتقوية سيطرتهم والحصول على مستعمرات جديدة .

فعلى كل العرب الذين يريدون حقوقهم الديموقراطية ويكرهون الحرب ويطلبون السلام ويصبون الى حرية بلادهم واستقلالها ، ان يتذكروا دائماً :

ان الفاشستية اكبر والد عدو للحريات الديموقراطية ،

الفاشستية اكبر عامل على ايقاد نيران حرب استعمارية جديدة ،

الفاشستية تريد تقوية نير الاستعمار على الشعوب المظلومة الضعيفة ،

الفاشستية هي الاستعباد والحرب وافظع اشكال الاستعمار !

الفاشستية والحركات الوطنية العربية

الفاشستية هي ديكتاتورية افظع الاستعماريين .. ، فما هو موقفها من الشعوب المظلومة المستعمرة التي تناضل لاجل حريتها واستقلالها ؟

الجواب بسيط جداً : تعمل الفاشستية بمهارة كبرى وباستعمال كل انواع التضليل والكذب ، على الايهام بانها تدافع عن حرية الشعوب وتساعد كل امة تناضل لاجل خلاصها من نير استعمار اجنبي . وذلك لانها تحاول استغلال المطامح الوطنية الكامنة في قلوب الشعوب المظلومة لكي تحقق ما ربها . فتكيل الوعود جزافاً وتعمل على اكتساب بعض الوطنيين الذين يؤخذون بخداعها ، او تشتري بالمال وبكل الوسائل بعض الزعماء الذين يصبحون عندها عملاء وخدماً . اما غايتها من كل هذا فهو :

اولاً — ان يتم لها تأييد الشعوب المظلومة في اقامة ديكتاتوريتها في بلادها نفسها — كما يحاول فرانكو الآن في اسبانيا ! ولكن ماذا يكون نصيب الشعوب جزاء مساعدتها لاقامة الديكتاتورية الفاشستية ؟ هل تنال استقلالها ؟.. أو هل تتحسن حالتها على الاقل؟ كلا ! بل يتضاعف الاضطهاد النازل بها . اذ بعد انتصار الفاشستية، تصبح السلطة في البلاد الحاكمة في ايدي الفاشست ، اي اوظم طغاة الاستعمار كما قدمنا . ثم هل يمكنك ايها القارئ ان تتصور لحظة واحدة ان الفاشستي الذي يحل البرلمان في بلاده نفسها يعطي بلادك ، وهي مستعمرة ، برلماناً ؟ هل يمكن ان يعطينا الفاشست حرياتنا وحقوقنا الديموقراطية وحرية الصحافة والنقابات والاجتماعات والكلام ، بينما هم يحرمون شعبهم نفسه منها ؟

ثانياً — الغاية الاخرى التي يرمي اليها الفاشست من التظاهر بالعطف على الشعوب المظلومة ، هي ان تساعدهم هذه الشعوب في الحرب التي يعملون على ايقاد نارها — كما يفعل هتلر وموسوليني منذ مدة طويلة

في الاقطار العربية على الخصوص . ثم ماذا يكون نصيب هذه المستعمرات اذا ما انتهت الحرب بانتصار الدول الفاشستية ؟ هل تنال الحرية جزاء لمساعدتها ؟ كلا ! بل تنتقل من تحت نير الاستعمار الى تحت نير استعمار فاشستي، فتصبح مستعمرة المانية او ايطالية بعد ان كانت مستعمرة افرنسية او انكليزية ، اي تنال عوضاً عن الاستعمار القديم استعماراً اوحش ، استعماراً فاشستياً !

ولكن لماذا التطويل ؟ ماذا يمكن ان تنتظر شعوب مستعمرة مظلومة مثل شعوبنا العربية من هتلر (حليف موسوليني) الذي يحتقر كل الشعوب الاخرى ويدعي ان العرق الالماني هو العرق الاعلى ويضع العرب في الدرجة السابعة عشرة في جدول تصنيف الامم ؟

ولكن بين العرب، واأسفاه، نفر لا يفهمون هذا ، نفر على ابصارهم غشاوة ، يكفيهم خطاب لهتلر ، او حركة رياء ونفاق من موسوليني ، او وعد من فرانكو الاسباني ، او حديث مع اتباع دى لاروك الافرنسي ، لكي يؤدوا التحية على الطريقة الرومانية ، ويصرحوا بان موسوليني صديق العرب ، وهتلر منقذهم، وفرانكو نصيرهم ، ودى لاروك حبيبهم !

أو ليس من المضحك المبكي ان نرى عربياً واحداً يسعى الى الخلاص من مستعمر بمستعمر آخر مغرق، فظيع ، وحشي في مطامعه الاستعمارية ؟

وهل تريد دليلاً على مطامع الفاشست الاستعمارية ؟ دليلاً على ان الفاشستية لا تريد تحرير المستعمرات بل تريد مستعمرات جديدة لها ؟

ان الفاشست مهما حاولوا وتستروا وتهربوا ، لا يستطيعون اخفاء مراميهم الاستعمارية ، وكثيراً ما يضطرون في المحادثات الدولية وفي فرص اخرى الى كشف القناع عن وجوههم والاعتراف بحقيقة نواياهم !

لنأخذ الفاشستية الالمانية، « اكمل » انواع الفاشستية ، اي افظعها واوحشها . ففي رأس لائحة مطاليب هتلر : المستعمرات ! مستعمرات تموّن كبار الرأسماليين الالمان بما هم بحاجة اليه من المواد الاولية ، وتقدم لهم ميادين غنية لاستثمار رؤوس اموالهم ! لقد كتب هتلر ذلك في كتابه « كفاحي » (ماين كامف) ، واعاده بعنف في مؤتمر نورمبرغ الاخير . كان الطاغية غورنغ ساعد هتلر الايمن، جعل المطالبة بمستعمرات اغنية يرددها في كل خطاب وفي كل مناسبة وفي كل فرصة !

فهتلر اذن لا يريد تحرير المستعمرات ، بل يريد تقسيماً جديداً للمستعمرات، وهو يسعى لنيل ذلك اما بالمفاوضات والتهديد والبلف، واما ... بالحرب !

فافهموا جيداً يا من تسبحون بحمد هتلر : ان الشعوب العربية تريد حريتها واستقلالها ، تريد حقوقها الديموقراطية وحرياتها الانسانية ! تريد ان تتخلص من نير كل استعمار ، ولا تريد ابداً ان تصبح مستعمرة المانية !

وموسوليني ؟.. حكاية هذا المخلوق مع بعض العرب مضحكة ، مؤسفة ، مثيرة !

يزعمون ان احد « كبار ساسة » العرب ، طلب من موسوليني ، في الايام الماضية القريبة ، ان يعيد لبعض سكان طرابلس الغرب

ماشيتهم التي صادرها وان يطلق سراح بعض المسجونين . ففعل موسوليني عن طيبة خاطر ..

وهكذا ـــ هكذا فقط ـــ امتلك موسوليني مجامع قلب هذا السياسي « الكبير » ، واصبح صديق العرب ونصير المسلمين الامين الوفي !

ولكن اين دماء الشيخ السنوسي الذكية ؟ اين زعماء العرب في طرابلس الغرب الذين رماهم موسوليني من اعالي الطيارات ؟... اين الاراضي الساحلية الخصبة وبساتين الزيتون التي اغتصبها الطاغية الايطالي من اصحابها الطرابلسيين ووزعها على اتباعه ؟ .. اين الالاف من المجاهدين البرقاويين العرب المشردين في كل مكان بعيداً عن وطنهم بسبب احكام الاعدام والنفي الصادرة ضدهم ؟.. اين كل الفظائع الايطالية الفاشستية التي نشرتها الجمعية الطرابلسية البرقاوية في دمشق ؟ اين ما نشرته « الرابطة الشرقية » في بيروت عن منكرات موسوليني في طرابلس برقه ؟ كل هذه اشياء تناساها السياسي العربي « الكبير » مقابل خروفين وثلاث بقرات ـــ او اكثر ـــ ردها موسوليني الى اصحابها !

اننا لا نعرف كيف نصف سلوك هذا « السياسي »! ولكن يقولون ان احد الصحافيين السوريين الوطنيين المخلصين ، عندما حدثوه عن ماضي هذا السياسي « الكبير » الذي لا كتمه الالسن، قال متأثراً : « كان خيراً لهذا الرجل ان يموت قبل ان يسقط في هذه الهوة ويصبح مضغة تلوكها الافواه » فقد غطى على كل خدماته السابقة للعرب والمسلمين بما قام به من الخدمات المخجلة لموسوليني

والفاشست عامة خلال الحرب الحبشية ــ الايطالية وقبلها وبعدها !
نعم ليته مات قبل ان يبيع نفسه ..!»

ونحن لا نزيد شيئاً على قول هذ الصحافي ، بل نصرح اننا نحبه ونحترمه لانه مخلص ، لانه شعبي ، لانه وطني عربي حقيقي ، يعرف مصلحة شعبه ، ويعرف ــ في كثير من الاحيان ــ ان يفصح عن مطاليب وطنه الانسانية والديموقراطية، عندما تلجم التقاليد والحياء كثيراً من الالسن !

اما الفاشست الافرنسيون (وليسوا سوى حلفاء هتلر وموسوليني بل عملاؤهما) فلدينا في سوريا والجزائر ومراكش امثلة ناطقة عن اعمالهم ونواياهم وحقيقة ما ربهم !

اقرأوا مقالات جريدة غرينغوار (لسان حال تارديو الفاشستي وكل اصدقائه) بعد عقد المعاهدة السورية الفرنسية ، فترون كيف تصف هذا العمل الذي تم في عهد الحكومة المستندة على الجبهة الشعبية الافرنسية ! لا ترى غرينغوار في هذه المعاهدة الا تفريطاً بمصالح فرنسا ، وتشجيعاً لروح «الاضطرابات» التي يحملها الوطنيون السوريون ، وتعريض مصالح فرنسا للخطر في الشرق الادنى !

اما جريدة « الطان » ، لسان حال لجنة معامل الحديد الافرنسية ، ذات الميول اليمينية المعروفة ، التي تحارب الجبهة الشعبية الافرنسية بكل ما عندها من قدرة على المناورة والتضليل ، وتساعد الحركة الفاشستية بصورة لبقة ماهرة وباسم الدفاع عن الحريات الجمهورية..، هذه الجريدة لا تستخلص من حوادث فلسطين الاخيرة ، في مقال نشرته خلال الايام الاولى من شهر كانون الاول (ديسمبر) الماضي، الا

هذا الدرس البغيض الذي تقدمه كل محسن بالحكومة الافرنسية اقتداؤه :

تقول «الطان»، بعد عبارات معسولة عن حقوق الصهيونيين «المشروعة» في فلسطين: «... ان العربي لا يخاف الا القوة ولا يخضع الا لها . وقد ادركت الحكومة الانكليزية ذلك ، ولهذا أحسنت صنعاً بانزال قوات عسكرية هائلة في فلسطين خلال الاضطرابات الاخيرة . اذ ان انزال هذه القوات العسكرية اخاف العرب واجبرهم على وقف الاضراب والخضوع لبريطانيا وسياستها الصهيونية»! هل تسمع يا اخي العربي ؟.. هل تسمع كيف يصفنا الفاشست ! ولكن لا تقتصر «الطان» على هذا ، بل تذهب الى ابعد من ذلك ، تذهب الى مطالبة الحكومة الافرنسية من طرف خفي وبصورة غير مباشرة ، بالاقتداء بانكلترا وزيادة قواتها في سوريا بمناسبة حوادث بيروت التي تلت المعاهدة الافرنسية اللبنانية !

وفي الجزائر ، ما هو سلوك الفاشست ؟ .. اسأل اي عربي من صفوف الشعب تصادفه على طريقك يخبرك دون تفكير طويل عما يقوم به كبار المستعمرين الافرنسيين — اعضاء المنظمات والاحزاب الفاشستية الافرنسية — من اعمال مرهقة للعرب، ومعارضة لكل التدابير الرامية الى تقرير بعض حرياتهم والتخفيف عنهم! فالفاشست الافرنسيون اتباع دى لاروك في الجزائر، هم انفسهم المستعمرون الكبار الذين طردوا العرب من اراضيهم الخصبة وقذفوا بهم الى الجبال و التلال القاحلة، وانزلوا كل انواع الاضطهاد الاستعماري الوحشي بجماهير الشعب العربي الجزائري! الفاشست الافرنسيون في الجزائر هم الذين يحاربون الآن كل اصلاح ترمي اليه حكومة ليون بلوم هناك، هم الذين يعرقلون تطبيق القوانين الاجتماعية

على عمالهم العرب ويصيحون بالويل والثبور ازاء كل تدبير من شأنه اعطاء العرب بعض الحقوق المدنية او يقصد منه تحسين طرق الادارة في الجزائر وجعلها انسانية واشراك العرب فيها .

العرب الجزائريون يكرهون الفاشستية، لانهم يرون ان الفاشست الافرنسيين ليسوا سوى اصحاب العمل الرأسماليين والمستعمرين الكبار الذين اضطهدوهم خلال عشرات السنين وما زالوا يضطهدونهم ، واحتقروهم وما زالوا يحتقرونهم . وقد كان المؤتمر الاسلامي الجزائري الذي انعقد بعد انتصار الجبهة الشعبية الافرنسية، احسن تعبير واقعي ملموس عن ارادة اخواننا عرب الجزائر الذين اعلنوا في هذا المؤتمر بلسان مندوبي نقاباتهم وممثلي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كرههم للفاشستية واستعدادهم لعمل كل شيء في سبيل وقف هجومها ومنع انتصارها !

ومهما حاول الفاشست الافرنسيون التظاهر بعطفهم على الشعب الجزائري ، فانهم لا يلبثون ان يكشفوا القناع عن وجههم الاستعماري الحقيقي عندما ينال العرب شيئاً من حقوقهم ، حتى ولو كان زهيداً للغاية . فيتضح حالاً بانهم انما يبدون هذا النوع من العطف رياء ونفاقاً ، وبالكلام فقط ! .

واليك الدليل الواضح ايها القارئ :

في اوائل شهر ديسمبر ١٩٣٦ . قررت الحكومة الافرنسية بعد موافقة البرلمان ، توسيع حق الانتخاب لعرب الجزائر وتعديل طرق الادارة وجعلها اقرب الى المبادئ الانسانية، وذلك بالغاء وظيفة الحاكم العام ومديرية الشؤون الاهلية ، وانشاء مجالس « الجماعة » التي تؤلف من

اعضاء عرب ينتخبهم العرب انفسهم ، لادارة الشؤون المحلية في مختلف المناطق، مثل مجالس البلديات في فرنسا !

فلم يلبث تجاه ذلك ، ان ثار ثائر جريدة «الطان» التي وصفناها منذ قليل ، وفي مقال عنوانه « اصلاحات جزائرية » نشرته في عدد ١٥ ديسمبر ١٩٣٦ ، حملت حملةشعواء على عمل الحكومة ووصفته بالتفريط والتسرع ، واحتجت على الغاء وظيفة الحاكم العام وانشاء مجالس الجماعة ومنح العرب بعض الحقوق الانتخابية ، طالبة طبعاً كل ذلك بطلاء خداع براق ومدعية بانه ليس من مصلحة عرب الجزائر انفسهم، ان يخفف عنهم وطأة الادارةالاستعمارية المباشرة !

وفي مقال آخر ، لم تتورع «الطان» عن وصف عمل الحكومة « بجنون الاصلاح » ، وقالت حرفياً بهزء وسخرية : « ان العساكر الذين كانوا يسودون البلاد المحررة (تعني الجزائر) قد اضطروا الى الانهزام واصبح البدو هم الناخبين . اما الواحات فقد اصبحت تدار من قبل مجالس بلدية ، واخضع الجماد لقوانين الجبهة الشعبية والرمل نفسه اصبح صافياً خصباً واعيدت اليه الحياة بنشر المبادئ الديموقراطية عليه » ... الخ ...

وقد حدثني احد اركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن رأيه في الفاشستية فقال بكل صراحة: « ان الشعب العربي في الجزائر لا يمكنه ان يتمنى انتصار الفاشست ، بل لا يستطيع الا محاربتهم . ولا ريب ان لنا مطاليب كثيرة لم تتحقق بعد ، ولكننا الآن نتنفس قليلاً ونأمل بتفاؤل تحقيق بقية مطاليبنا شيئاً فشيئاً ، اما اذا انتصر الفاشست فاننا نحرم كل شيء حتى هواء بلادنا » !

اما بخصوص مراكش ، فان اتحدث عن مساعي الفاشست الفرنسيين فيها وعقليتهم وما ربهم ، بل انقل حرفياً عبارة قالها لي خلال حديث طويل ، احد الوطنيين المراكشيين :

« تسألني عن موقف الفاشست الفرنسيين في مراكش من مطالبنا ؟... حسن . ولكن قبل اجابتك اسمح لي ان القي عليك بدوري سؤالاً : « كيف ينظر السوريون الى المسيو بونسو ، مفوضهم السامي القديم ؟ » ... فقلت له : « اننا لا نحتفظ ذكريات سارة عن عهد بونسو . ومشروع المعاهدة الاول عام ١٩٣٣ لا يزال ماثلاً في ذهن كل سوري » !

فاردف قائلاً : « اذاً فاعلم ان المسيو بونسو ، الذي وجدتموه قاسياً ، وجده الفاشست الافرنسيون عندنا ذا ميول حرة متطرفة ، بل وجدوه مفرطاً في « تساهله » مع مطالبنا الوطنية ، مع ان نصيبنا منه لم يكن عشر معشار نصيبكم » !

بعد هذا التصريح ، يحسن السكوت !

والآن بعد كل الذي اوردناه عن طبيعة الفاشستية ، ومراميها ، ومواقفها من مطاليب الشعوب العربية وحركاتها الوطنية في مختلف الاقطار .. ، بعد كل هذا ، من يجرؤ ان يقول ان للعرب خيراً من وراء الفاشستية ؟

اننا نعيد ما قلناه سابقاً...

الشعوب العربية تناضل لاجل خلاصها من نير الاستعمار ، فهي تحارب كل مستعمر ، وخصوصاً الفاشست ، افظع المستعمرين !

الشعوب العربية تناضل لاجل حرياتها الديموقراطية وحقوقها

الوطنية ، وتريد ان تنتزعها من نير كل مستعمر ، لا ان تعرضها لاستبداد الفاشست — اكبر الرجعيين !

الشعوب العربية تريد ان تعيش بسلام واخاء فيما بينها ومع كل شعوب الارض ، فهي تكره الفاشستية لانها اكبر مثير للاحقاد بين الامم واعظم عامل على دفع الشعوب لذبح بعضها البعض !

الجبهة الشعبية في الاقطار الاوروبية والحركات الوطنية العربية

من الواضح اذاً ان العرب،وجميع المظلومين والمستعمرين في العالم ، لا يستطيعون تأييد الفاشستية ، ولا يمكنهم اتخاذ موقف الحياد منها ؛ كما انه لا يمكنهم ايضاً ان ينظروا اليها الا كعدو لدود يهدد بانتصاره بزيادة الارهاق الوطني والاجتماعي النازل بهم .

لذلك فمن مصلحة الشعوب العربية ان تؤازر كل حركة وكل جماعة تحارب الفاشستية وتقاوم مساعيها . او بعبارة اخرى : من مصلحة الشعوب العربية ان تعاضد الجبهة الشعبية في فرنسا ، وتؤيد من يسعى لتشكيل الجبهة الشعبية في انكلترا . كما ان من واجبها ان تساعد الشعب الاسباني الباسل مساعدة فعلية في مقاومة فرانكو وحليفيه هتلر وموسوليني .

وقد يتساءل البعض : كيف ندعو الى معاضدة الجبهة الشعبية في فرنسا مثلاً ، بينما ان بعض الاحزاب التي فيها هي احزاب استعمارية

لا توافق على استقلال البلاد العربية استقلالاً ناجزاً حقيقياً ؟

وفي الواقع ، تتألف الجبهة الشعبية في فرنسا من : الحزب الراديكالي الاشتراكي ، وحزب الاتحاد الاشتراكي الجمهوري ، والحزب الاشتراكي ، والحزب الشيوعي (ونحن هنا لا نتكلم عن «اتحاد العمل العام» والمنظمات النقابية والثقافية الاخرى الداخلة في الجبهة الشعبية وعددها يتجاوز المئة ، بل نقتصر على ذكر الاحزاب السياسية الهامة). فبين كل هذه الاحزاب نرى ان الحزب الشيوعي الافرنسي هو الحزب الوحيد الذي ينكر ويحارب كل استعمار ، ويطالب في برنامجه باستقلال كل المستعمرات استقلالاً ناجزاً تاماً .

ولدفع الالتباس نقول :

لم تتشكل الجبهة الشعبية الافرنسية في الاساس بمساعي الحزب الشيوعي الافرنسي ، الا لمحاربة الفاشستية ومنع تقدمها ، والمحافظة على الحريات الديموقراطية وتوسيعها وتطبيقها فعلاً ، والسعي لتحسين حالة جماهير الشعب الافرنسي وحمايتها من استبداد المئتي العائلة (اي كبار اصحاب الملايين) ، ومقاومة الحرب والدفاع عن السلام !

ولما كانت هذه الاحزاب التي ذكرناها ، بالرغم من اختلاف برامجها وغاياتها القصوى ، متفقة على هذه المطاليب ، انضمت الى الجبهة الشعبية مع محافظة كل حزب على برنامجه واستقلاله في النضال لاجل غاياته واهدافه الاخرى .

وهكذا وضع برنامج الجبهة الشعبية بصورة يكون معها مقبولاً

من كل هذه الاحزاب . ولذا لم يكن من الممكن ان يحوي هـذا البرنامج مطلب استقلال المستعمرات. كما انه ليس فيه ، ضمناً ، الى جانب مطاليب الشعب الفرنسي المباشرة المذكورة ، سوى بعض مطـاليب صغيرة في مصلحة الشعوب المظلومة المستعمرة : مثل تنظيف جهـاز الادارة الفرنسية في المستعمرات من العناصر الرجعية المستبدة ، وتطبيق القوانين الاجتماعية وتوسيع حق التصويت للعرب في الجزائر ، ومنح بعض الحريات الديموقراطية للشعوب الاخرى التابعة لفرنسا .

ولاجتناب كل غموض نقول: اننا لم ننتظر يوماً استقلالنا على يد الجبهة الشعبية ، ولم نقل يوماً ان انتصار الجبهة الشعبية في فرنسا معناه خلاص الشعوب العربية في الجزائر و تونس ومراكش وسوريا من نير الاستعمار . لاننا نعلم علم اليقين ان علينا ان نعتمد قبل كل شيء على انفسنا لاجل الحصول على حريتنا التامة .

فاذا كنا نغتبط بانتصار الجبهة الشعبية في فرنسا ، فـذلك للاسباب الآتية فقط :

اولاً : لانها تحارب الفاشستية ، اي تمنع وصول افظع الاستعماريين والرجعيين الافرنسيين الى الحكم في فرنسا .

ثانياً : لانها تساعد على تخفيف نير الاستعباد عن اعناقنا وتمكننا من الحصول في بلادنا على معيشة انسانية ، وشروط للحياة اقل وطأة من قبل .

ثالثاً : لاننا نعتقد ان دوامها ونجاحها في مقاومة تيار الفاشستية يخلقان ظروفاً وشروطاً تسهل للشعوب العربية النضال في سبيل استقلالها التام ، والسير نحو حريتها التامة الكاملة .

وليس في استطاعة احد ان ينكر ان انتصار الجبهة الشعبية في الانتخابات الافرنسية الاخيرة، قد جعل المجال اوسع امـام الشعوب العربية — في الجزائر وتونس وسوريا — للنضال في سبيل تنظيم صفوفها ، والسعي لتحسين حالتها ، والعمل على الحصول على حرياتها الديموقراطية .

ففي الجزائر انعقد لاول مرة المؤتمر الاسلامي الشعبي الكبير، الذي جمع مئات المندوبين من ممثلي الشعب العربي الجزائري : مثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والحزب الشيوعي الجزائري وممثلي النقابات ، الخ ... واصبح كذلك في وسع العمال العرب الجزائريين الانتظام في النقابات ، والمطالبة بتطبيق القوانين الاجتماعية ، ورفع الاجور ... الخ ..

وفي تونس عاد زعماء الحزب الدستوري من منافيهم في الصحراء وخرجوا من السجون ، وغدا بامكانهم تنظيم صفوفهم وعقـد اجتماعاتهم . كما انه اصبح في امكان الحزب الشيوعي التونسي اصدار مطبوعاته ومساعدة شعبه التونسي العربي على تنظيم قواه والدفاع عن حقوقه .

واما في سوريا فقد تسهل عقد المعاهدة السورية الافرنسية التي نالها شعبنا السوري بجهاده وبطولته. واذكر اني لما كنت في باريس، خلال المفاوضات، زرت الوفد السوري في فندق الكونتيننتال برفقة النائب الشيوعي بورتاله ؛ وكان اول من التقينا به في باحة الفندق السيد جميل مردم بك ، فكان اول ما قاله لنا ونحن صاعدون الى غرفة الرئيس السيد هاشم الاتاسي: « ان سير المفاوضات تغير

ونحن كثيراً بعد انتصار الجبهة الشعبية وتأليف حكومة المسيو ليون بلوم» !

وبالاختصار ، ان انتصار الجبهة الشعبية الافرنسية لم يؤمن لنا الخلاص من نير الاستعمار ، ولكنه خلق على كل حال ظروفاً أنسب وافضل لنضالنا التحريري، وسهل لنا العمل على نيل ثمرة جهادنا، وافسح المجال لتحسين حالة شعبنا وتحقيق الحريات الديموقراطية في بلادنا .

ولا ريب ان كل عربي يشعر ان الآمال التي عقدتها شعوبنا على انتصار الجبهة الشعبية الافرنسية لم تتحقق كلها . فان حكومة المسيو ليون بلوم ، التي تألفت على اساس انتصار الجبهة الشعبية الافرنسية في الانتخابات، لا تظهر دائماً الحزم الكافي والجرأة اللازمة في تنظيف البلاد العربية من الموظفين الافرنسيين الفاشست الذين يعملون على اثارة الفتن، واستفزاز الشعب ومقابلة مطاليبنا المشروعة بالاهمال والاحتقار . كما انه في بعض الاحيان، عوضاً عن ان تصغي الحكومة الافرنسية لصوت شعوبنا وممثليها الحقيقيين ، تصغي الى بعض الخونة او بعض كبار الرجعيين في بلادنا !

لذلك نرى من واجبنا ان ننبه القراء الى نقطة هامة وهي : ان حكومة المسيو ليون بلوم تستند على تأييد الجبهة الشعبية ، ولكن حكومة المسيو ليون بلوم والجبهة الشعبية ليستا شيئاً واحداً. وكل من لديه بعض الاطلاع على حالة فرنسا وحياتها السياسية والاجتماعية ، يرى ان مطاليب الشعب الافرنسي نفسه ، المسجلة في برنامج الجبهة الشعبية ، لم تتحقق بعد كلها ، وان هنالك مشادة دائمة بين الجبهة الشعبية وبين حكومة المسيو ليون بلوم حول السرعة

الواجب اتباعها في تنفيذ المطاليب المذكورة ، وتطبيق برنامج الجبهة الشعبية .

ومن المفهوم طبعاً ان الفاشست الافرنسيون يبذلون جهوداً كبيرة لتحقير الجبهة الشعبية ، والحط من قيمتها ، وعرقلة تدابير الحكومة خصوصاً في المستعمرات والبلاد المشمولة بالانتداب ، بأمل ان يتيسر لهم اكتساب عطف العرب على اغراضهم الفاشستية الرجعية .

ولكننا لن نؤخذ باحابيلهم ، بل نعرف ان احسن وسيلة لتحقيق بقية مطالبنا هي تقوية عرى الصداقة بيننا وبين الشعب الافرنسي وجبهته الشعبية ، والتعاون معها على دفع حكومة المسيو ليون بلوم الى اجابة كل مطالبنا المشروعة الحيوية .

ونعتقد ان احسن ما يقال حول كل هذا ، عبارة الشيخ العربي ، احد اركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، التي ذكرناها في ما مضى من الكلام ، وهي : « لا ريب ان لنا مطاليب كثيرة لم تتحقق بعد ، ولكننا الان نتنفس قليلاً ، ونتأمل بتفاؤل تحقيق بقية مطالبنا شيئاً فشيئاً ، اما اذا انتصر الفاشست فاننا نحرم كل شيء حتى هواء بلادنا » !

- ٢ -

اسبانيا ! اسبانيا !

...

حركة فرانكو

جوهرها ، اركانها ، حلفاؤها

لاجل فهم جوهر حركة فرانكو واتجاهها السياسي والاجتماعي ، نشير على القراء بمراجعة البحث القيم الذي نشرته مجلة « الطليعة » الدمشقية في عدد تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦ عن البنيان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في اسبانيا . ونرى من واجبنا تلخيص ذلك هنا في بضعة اسطر :

لماذا قام رهط فرانكو يحارب شعبه ؟ ماذا يريد الشعب الاسباني ، حتى يعمل نفر من اصحاب الملايين ، والقواد العسكريين الرجعيين ، والاقطاعيين ، وكبار اليسوعيين على سحق ارادته واغراقها في الدماء ؟

ان اسبانيا بخلاف اكثر اقطار اوروبا ، بقيت فيها آثار قوية من عهد القرون الوسطى ، فالثورة الافرنسية التي قضت عام ١٧٨٩ على الحكم المطلق وسيطرة الاقطاعيين في فرنسا ، وامتدت بالتدريج الى اوروبا ، لم تمتد إلا جزئياً الى اسبانيا . اي بعبارة اخرى ، تمت الثورة

البرجوازية في فرنسا وفي كثير من الاقطار الاوروبية الاخرى ولكنها لم تتم في اسبانيا ، فقد كانت الملكية الشبه مطلقة سائدة فيها الى عهد قريب في شخص الفونس الثالث عشر ، وفيها عدا ذلك كبار الاقطاعيين الذين يملكون عشرات الوف الهيكتارات ، بينما ملايين الفلاحين بلا اراضي او لا يملكون سوى اراض صغيرة ، وسيطرة الكنيسة قوية جداً وفي ايديها اكبر حصة من كل اراضي اسبانيا ، والصناعة متأخرة ، والجيش تسود فيه التقاليد الارستوقراطية القديمة .. الخ .. الخ ..

اي بالاختصار ان في اسبانيا من حيث بنيانها الاقتصادي والاجتماعي بعض جوانب الشبه بالاقطار العربية ، سوى ان هذه فوق ذلك مستعمرة فاقدة استقلالها الوطني .. ولكي نقرب من الذهن ما نرمي الى توضيحه ، نسمح لانفسنا بتصنيف المراحل التي على الاقطار العربية من جهة ، وعلى اسبانيا من جهة اخرى ان تجتازها :

الاقطار العربية كلها ، باشكال ودرجات مختلفة ، مستعمرة مضطهدة من قبل الاستعمار الاجنبي ، وهذا النظام الاستعماري يمنع اصلاحها الزراعي وتقدمها الصناعي ، اذ هو يعمل على الاحتفاظ بالنظم والتقاليد الاقطاعية القديمة السائدة في الزراعة وفي مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، لان ذلك يسهل له — اي للاستعمار — القيام بما يرمي اليه من استثماره وحفظ سيطرته .

فالاقطار العربية تجابه تاريخياً مرحلة التحرر الوطني اي الحصول على استقلالها التام من نير الاستعمار ؛ ومرحلة الانقلاب البرجوازي الدموقراطي : اي القضاء على بقايا الاقطاعية وآثار القرون الوسطى

في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، والقيام باصلاح زراعي واسع وتحقيق مختلف الاصلاحات التي تمت منذ زمن طويل في البلاد المتقدمة .

اما اسبانيا ، فليس امامها مرحلة التحرر الوطني . انها امة مستقلة . ولكن امامها اتمام مرحلة الانقلاب البرجوازي الذي تم في فرنسا منذ اكثر من مئة سنة . اما واجبنا الحالي ، نحن العرب ، فهو توحيد قوى الامة في كل قطر من الاقطار العربية ، والنضال لاجل الحصول على حرياتنا الانسانية الاولية ، وتحسين حالة شعبنا ، ليتيسر لنا القيام بنضال مثمر في سبيل تحررنا الوطني التام واستقلالنا الكامل . لكن الاستعماريين ، وخصوصاً الفاشست افظع الاستعماريين ، لا يريدون منحنا حرياتنا الشعبية (الحريات الدستورية ، برلمان حر ، حرية النقابات والاجتماعات والصحافة ... الخ ...) وذلك لانهم يريدون الامعان في استثمارنا استثماراً فظيعاً ومنعنا من الفوز في نضالنا لاجل التخلص من نيرهم وتحقيق حرياتنا الوطنية التامة .

اما واجب الشعب الاسباني في المرحلة التاريخية الحاضرة فهو جمع كل قوى الامة ، الممكن جمعها ، لحماية الحريات الشعبية التي يضمنها النظام الجمهوري ، لكي يتيسر له القيام بنضال ناجح في سبيل الاصلاح الزراعي والقضاء على بقايا عهد الاستبداد والحكم المطلق . بينما الفاشست الاسبانيون ، يريدون محو الحريات الشعبية ، والقضاء على النظام الجمهوري ، واقامة ديكتاتورية ارهابية لمنع تحقيق الاصلاح الزراعي ، والمحافظة على بقايا عهد الاستبداد وتقاليد القرون

الوسطى التي تؤمن لهم الاحتفاظ بالامتيازات والسيطرة التي يتمتعون بها.

اما في فرنسا، فالامر يختلف عن اسبانيا وطبعاً عن البلاد العربية ايضاً. فواجب الشعب الافرنسي التاريخي الآن، توحيد كل القوى الشعبية للمحافظة على الحريات الديموقراطية الموجودة والعمل على توسيعها، والسعي لتحسين حالة الطبقات النشيطة العاملة، ورفع مستوى معيشتها، وحماية فرنسا من اخطار الحرب، والقيام بنضال ناجح في سبيل تحررها الاجتماعي التام. اما الفاشست الافرنسيون فيريدون القضاء على الحريات الديموقراطية، واقامة ديكتاتورية ارهابية مكشوفة مثل ديكتاتورية هتلر، لاجل المحافظة على كل امتيازاتهم وزيادة ارباحهم ومضاعفة استثمارهم للجماهير العاملة وحرمان الشعب الافرنسي من وسائل الدفاع عن حرياته وحقوقه التي انتزعها بثوراته الشعبية العديدة منذ مئات السنين، ومنعه بالتالي من السير بنجاح في طريق تحرره.

على هذه الصورة فقط يمكن وضع المسألة الاسبانية، وعلى هذا النور فقط يمكن مواجهتها في الاصل، من حيث اسسها ومن حيث موقف القوى الرجعية وموقف القوى التقدمية الشعبية.

ولكن يكون من الخطأ الفادح — كما سنرى فيما بعد — الاعتقاد بان النضال القائم في اسبانيا ليس سوى نضال بين الرجعية الاسبانية — فرانكو — وبين القوى التقدمية الاسبانية — الحكومة الجمهورية —. فقد دخل، منذ ابتداء الحرب الاهلية، عنصر جديد في الميدان، واخذ دور هذا العنصر يزداد خطراً واهمية يوماً بعد يوم.

فالشعب الاسباني لا يدافع عن نفسه ضد استبداد الفاشست والرجعيين الاسبانيين فقط، بل يدافع ايضاً عن استقلاله ضد مطامع هتلر وموسوليني اللذين يرميان من وراء مساعدة فرانكو استعمار اسبانيا، وجعلها قاعدة حربية لهما، ومركزاً لاستثمار رؤوس اموال اصحاب الملايين الالمان والطليان . فليس نضال الشعب الاسباني ضد فرانكو نضالاً ديموقراطياً فقط، بل نضالاً وطنياً ايضاً ؛ وليس نضالاً ضد الحرب ولاجل السلام فحسب، بل نضالاً لاجل حفظ كيان اسبانيا الوطني والدفاع عن استقلالها .

وقد اكد لي ذلك صديق عربي، قضى مدة طويلة في اسبانيا وشاهد الحرب الاهلية بنفسه في جهات مدريد والاندلس وكاتالونيا . وقد قال خلال حديثنا حول هذه النقطة :

« ان هذا الشعور بالدفاع عن استقلال اسبانيا، وحماية كيان الوطن المهدد، يلعب الآن دوراً كبيراً في رفع مستوى حماس الشعب الاسباني — فكثير من الشيوخ والكهول، الذين كانوا بالرغم من تأييدهم الجمهورية، يترددون في الذهاب الى ميدان القتال، ويحجمون عن حمل السلاح، اخذوا يتوافدون بحماس على مكاتب التطوع الجمهورية عندما بدأوا يشعرون ان انتصار فرانكو معناه ضياع استقلال وطنهم وتحول اسبانيا الى مستعمرة — او شبه مستعمرة — خاضعة لهتلر وموسوليني » !

ولا يسعنا بهذه المناسبة، الا اظهار اسفنا، لانخداع بعض الصحف العربية باكاذيب العصاة الاسبانيين وتسميتهم « بالوطنيين » بينما هم يرتكبون افظع الخيانات ضد وطنهم وبلادهم . ونرجو القارئ ان يعذرنا

لتطرقنا الى هذا الشرح الصغير ، ونرجوه ايضاً ان يلاحظ ان هذا البحث ليس سوى « تصميم » او « كروكي » ، بعيد عن الدقة التامة التي تتطلب بحثاً مفصلاً طويلاً لا مجال له هنا . واملنا على كل حال ان يساعد هذا الشرح البسيط على فهم جوهر الصراع القائم بين الديموقراطية والفاشستية بصورة عامة ، وعلى فهم الحرب الاهلية في اسبانيا بصورة خاصة .

المؤامرة على اسبانيا

يتضح من كل ما قدمنا ان حركة فرانكو حركة فاشستية محضة، ترتدي رداء الوطنية كذباً وتضليلاً ! ففرانكو يحارب وطنه، يحارب بلاده ، يحارب شعبه ، يحارب اسبانيا !

فرانكو يحارب الانسانية المعذبة كلها ، يحارب الشعوب المظلومة، يحاربنا نحن العرب .

وما حركة فرانكو من حيث تركيبها — سوى حركة «قبضة» من اصحاب الملايين ، كبار الاقطاعيين ، كبار المرابين ، كبار قواد الجيش وكبار اليسوعيين . فكل هؤلاء يريدون ان تبقى اسبانيا متأخرة وشعبها جائع فقير ، لان ذلك يضمن لهم سيطرتهم، وعيشتهم المترفة ، وارباحهم الهائلة .

اما الشعب الاسباني ، فيريد ان يتقدم ويصبح في مصاف الامم الاخرى ، وان يتمتع بالحريات والحقوق التي تتمتع بها الشعوب

الاخرى ، وان يرى صناعته تتطور وزراعته تزدهر ! ولذلك برزت الكتلة الشعبية التي كانت تضم الجمهوريين اليساريين (الكاتالونيين)، والوطنيين الراديكاليين ، والوطنيين الباسك ، والنقابيين اتباع اتحاد العمل العام ، وبعض اتباع تحالف العمل الوطني (الفوضويين) ، والاشتراكيين ، والشيوعيين ، وقد تمكنت هذه الكتلة من صد هجوم الفاشستية وسد الطريق في وجهها .

وقد اعلن الشعب الاسباني ارادته بصورة مشروعة ، في انتخابات ١٦ شباط ١٩٣٦ التي جرت في ظل حكومة يمينية . فقد اقترع الشعب بجماهيره الغفيرة للكتلة الشعبية التي نالت في البرلمان اكثرية ساحقة .

ولكن ذلك لم يرق للطفيليات الكبرى ، التي لم يعجبها ان يقترع الشعب باكثريته للكتلة الشعبية ، اذ هي تريد نظاماً كنظام هتلر وموسوليني ، يؤمن لها ديكتاتوريتها المفتوحة وسيطرتها المطلقة. لذلك اخذ اصحاب الملايين وكبار الاقطاعيين بالقيام بحملة كريهة بغيضة لئيمة ضد الكتلة الشعبية ، وضد حكومة كيروغا الديموقراطية التي تألفت بعد انتصار الجبهة الشعبية في الانتخابات واشتركت في تأليفها كل احزاب اليسار الديموقراطية ، عدا الاشتراكيين والشيوعيين. فعمدت العناصر الرجعية الى رفع اسعار البضائع والمواد الغذائية الضرورية دون اي سبب مقبول واخذت تطرد العمال من اعمالهم وتغلق ابواب المصانع في وجههم .

اما الاقطاعيون الكبار فكانوا يدعون لعدم حرث الارض واهمال بذرها ، ويرفضون رفع اجور عمالهم الزراعيين ، تاركين الغلال

عرضة للبوار والعفن ، وذلك بنية تجويع السكان وتعميم البؤس ونشر اليأس في المدن والقرى . وغدا عن العمل على عرقلة الانتاج والحياة الشعبية جميعها ، عمد هؤلاء الرجعيون ، مقتدين بسيدهم هتلر ، الى استعمال الارهاب الفردي ، فاصبح الاعتداء الاثيم على قواد الاحزاب الجمهورية ونقابات العمال من الحوادث اليومية .

وكان غرض الرجعيين من كل هذه الاعمال ، الحط من قيمة الكتلة الشعبية وعرقلة تدابير الحكومة الديموقراطية ، واقلاق الرأي العام ، كما تفعل الآن الفاشست الافرنسيون تجاه الجبهة الشعبية وحكومة المسيو ليون بلوم .

الا ان الشعب الاسباني اظهر يقظة كبرى ، ولم يؤخذ بحبائل الرجعيين ، وريائهم ونفاقهم ، بل زاد التفافه يوماً بعد يوم حول الكتلة الشعبية والاحزاب الديموقراطية .

وعندها لم تبق الا وسيلة واحدة امام اعداء الشعب وهي :

فرض ارادة الطفيليات ، ارادة الارستوقراطيين ، ارادة كبار اليسوعيين ، بقوة السلاح وبالرغم عن الارادة الشعبية ، وذلك بان يقوم القواد العسكريون الرجعيون ، فرانكو ومولا وكيبودولانو ، السكير العربيد ، بعصيان مسلح ، وفرضوا النظام الفاشستي بقوة الجيش الذي وضعته البلاد بين ايديهم ليدافعوا به عنها .

ولكن اذا اطاع الجيش ، فمن يكفل انه يستطيع التغلب على الشعب الذي لا بد ان يقوم كرجل واحد ليدافع عن حرياته ؟

يجب اذاً البحث عن حلفاء .

ولم تبحث الطفيليات طويلاً ، بل على الاصح لم تبحث ابداً اذ

كان الحليف موجوداً ، ساهراً ، يقظاً ، لا ينتظر الدعوة بل يقدم مساعدته قبل ان تطلب منه . فقد كان رسل موسوليني وهتلر في اسبانيا يعملون بكل نشاط على تشجيع فرانكو واسياده ويحفزونهم لسفك دماء شعبهم واعدين بكل المساعدة اللازمة من مال وذخائر و طيارات ومدافع ورجال .

وهكذا تمت المؤامرة على اسبانيا .

وكان البرنامج بسيطاً جداً في اعين المتآمرين : فرانكو قائد الريف العسكري ، يعلن العصيان في تلك البقعة ، وفي الوقت نفسه يعلن زملاؤه ، بقية الجنرالات ، العصيان في مدريد واشبيلية وبقية مدن اسبانيا . فيستولون فيها على المراكز الهامة ومكاتب التلفون والبرق والبريد والابنية العامة ويقتلون اعضاء الحكومة ورؤساء احزاب اليسار ، ويقيمون الديكتاتورية العسكرية الفاشستية .

ولكن الرجال ؟ .. من اين يأتي فرانكو بالرجال ؟ ...

المسألة سهلة :

هناك اولاً الفرقة الاجنبية او المختلطة وليس فيها من الاسبانيين اكثر من ١٠ في المئة ، وجلهم من المجرمين والمتشردين . ثم هناك الريف وفرانكو قائده العسكري . فبعد اعلان عصيانه ، يدعي امام العرب المسلمين انه يريد انقاذ الاسلام والمسلمين ، وانه سيعيد اليهم مجدهم الغابر في الاندلس ، ويعد بعض الزعماء باستقلال الريف اذا ما انتصر ، وهكذا يستفيد من الفقر والبؤس والجهل السائدة هناك فيجند المرتزقة مقابل بضعة دراهم . واذا اقتضى الامر ولم تنجح كل هذه الوسائل ، فهناك التهديد والسوط ...

اما نقل هؤلاء المخدوعين الى اسبانيا ، فتؤمنه الطيارات الالمانية والايطالية .

واذا لم تكف كل هذه القوى ، يرسل هتلر وموسوليني فرقاً من الجيش الالماني والايطالي بكامل معداتها .

وماذا ينال هتلر وموسوليني مقابل ذلك ؟

فرانكو الذي « يريد عظمة اسبانيا » ، كريم ، وكريم جداً :

١) : جزر الباليار الاسبانية في البحر المتوسط تعطى الى ايطاليا .

٢) : الريف يقدمه فرانكو مستعمرة لهتلر مع حفظ نفوذ موسوليني فيه .

٣) : وفوق هذا ، يقدم فرانكو اراضي اسبانيا الغنية سوقاً لاسياد هتلر وموسوليني ويعطيهم امتيازات كبرى تجعل لهم المكانة الاولى الاقتصادية والسياسية في اسبانيا .

٤) : يساعد فرانكو مآرب هتلر الحربية في البحر المتوسط ، فيساعده : اولاً : في اشعال نار الحرب ؛ ثم في اثناء الحرب يقدم له اسبانيا كقاعدة حربية ويساعده هو وموسوليني ، في الاستيلاء على البلاد العربية وتقاسمها .

وهكذا اظهر الرجعيون وكبار اصحاب الملايين مرة اخرى في التاريخ انهم مستعدون لخيانة وطنهم وبيع بلادهم والارتماء بين ذراعي الاجنبي في سبيل الاحتفاظ بسيطرتهم وامتيازاتهم .

وقد عرف التاريخ امثلة كثيرة على ذلك .

فخلال الثورة الافرنسية ، عندما قامت جماهير الشعب للقضاء

على الحكم المطلق ، التجأ المسيطرون والمستبدون الافرنسيون الذين كانوا يستفيدون من هذا الحكم المطلق ، الى حكام بروسيا وقواد انكلترا ، وساروا مع الجيوش الاجنبية لسفك دماء شعبهم وتخريب بلادهم ، بأمل سحق نهضة الشعب بسلاح الاجنبي . وهؤلاء الخونة — اجداد الفاشست الافرنسيين المعاصرين الذين يعملون بالاتفاق مع هتلر ضد وطنهم — معروفون لدى جماهير الشعب باسم «خونة كوبلنتز» .

وكذلك في عام ١٨٧١ ، خلال حرب السبعين ، كانت الجيوش الالمانية على ابواب باريس ، فقام الشعب الباريسي ليدافع عن دياره ، ملتفاً حول «كومونة» باريس ، اي حكومة العمال التي قامت خلال الحرب والتي عملت بكل قواها للدفاع عن بلادها وحماية وطنها ونجحت في وقف جيوش الهاجمين الفاتحين على ابواب العاصمة . وفي ذلك الوقت قام « تيير » واصحابه ، طفيلات فرنسا في ذلك الحين الذين كانوا قد فروا الى فرساي ، فانضموا الى الجيوش الالمانية وحاربوا شعبهم ودخلوا باريس مع الاجنبي . وبقوة الاجنبي وسلاح الاجنبي سفكوا دماء عشرات الالوف من ابناء الشعب الباريسي . ولا تذكر كتب التاريخ المدرسية المتداولة عندنا هذه الامور ، فقليلون في البلاد العربية من يعرفون ان بعض الافرنسيين — من لحم ودم افرنسي — ساعدوا الالمان عام ١٨٧٠ على دحر فرنسا والتغلب عليها وذبح شعبها .

وفرانكو « الاسباني » امين على ارث الخيانة الذي تركه له اسلافه في التاريخ . فهو يفضل ان يرى اسبانيا مستعمرة المانية ، تؤمن له بعض سيطرته القديمة ، على ان يرى اسبانيا حرة ، شعبية ، ما دام

ذلك ينال من سيطرته . فليس الذي يهم فرانكو واسياده الرجعيين الاسبانيين الذين يسمون انفسهم « وطنيين » دون حياء ، استقلال اسبانيا وحريتها ، بل سيطرتهم وامتيازاتهم وحانات الليل وزجاجات الشمبانيا . فهم يفضلون اسبانيا المستعمرة التي تقدم لهم شمبانيا وتؤمن لهم غطرستهم وعهرهم ، على اسبانيا الحرة التي تحرمهم من الشمبانيا ومن غطرستهم وعهرهم .

المعارك الاولى

تمت المؤامرة اذاً ، وراح المتآمرون ينتظرون الفرصة للفتك باسبانيا .

الا ان الشعب الاسباني كان يقظاً ، فاشتم رائحة المؤامرة . وعندها اضطر المتآمرون الى ابتداء العصيان قبل الوقت المعين . ففي ١٨ تموز اعلن فرانكو العصيان في الريف ، وتمردت الثكنات في اسبانيا كلها من اقصاها الى اقصاها ، تحت قيادة الضباط الرجعيين ، وقام عندها الشعب الاسباني كله ، كرجل واحد ، للدفاع عن حرياته ، والذود عن حياضه .

وكانت المعركة الاولى ! معركة فظيعة هائلة : شعب اعزل ، لم يتعود الفنون العسكرية (لفقد الخدمة العسكرية الاجبارية في اسبانيا) ، يقاوم العصاة الذين في ايديهم كل مراكز الاسلحة والثكنات ولديهم الخبرة العسكرية الكافية .

ولم تلبث ان انقسمت اسبانيا الى قسمين ! مدريد في الوسط ، وبرشلونه على شواطيء البحر المتوسط الشمالية الشرقية ، وبلنسية على الشواطيء الشرقية ، ثم قسم من الشواطيء الجنوبية ومدن الاندلس ومناطق الشمال ، تنجح في صد هجمات الفاشست وسحق العصيان ؛

واشبيلية وبعض المناطق الوسطى واكثر الاندلس والمناطق الجنوبية الغربية المتاخمة البرتغال تسقط في ايدي العصاة الذين احتلوا الريف ايضاً .

ودارت رحى الحرب ! وما زالت تدور منذ اكثر من ستة اشهر :

من جهة ، الشعب الاسباني وايمانه وبطولته وتعلقه بحريته واستقلال بلاده ووراءه عطف الجماهير الشعبية في كل العالم ؛ ومن جهة اخرى ، فرانكو وحلفاؤه ، طفيلات العالم الكبرى : هتلر وموسوليني ودباباتهما وطياراتهما وقنابلهما المحرقة . من جهة ، اسبانيا ؛ ومن جهة اخرى ، نفر الخونة الذين تآمروا مع الاجنبي على اسبانيا .

من جهة ، الانسانية المعذبة الطامحة الى الحرية والتقدم ؛ ومن جهة اخرى ، الرجعية الفاشستية التي تريد عبثاً ان يدور دولاب التاريخ الى الوراء .

من جهة ، السلام والاخاء بين الشعوب ؛ ومن جهة اخرى ، الحرب والذابح بين الامم . من جهة ، انا وانت يا اخي العربي المظلوم المستعمر وكل اخواننا المظلومين المستعبدين في الدنيا ؛ ومن جهة اخرى ، الظالمون المستعبدون المرهقون !

والآن تدور المعركة الاساسية على ابواب مدريد ! وقد وعد

فرانكو منذ اكثر من شهرين ان يدخلها ! ولكنه لم يدخل، ولن يدخل!

فمدريد هي للشعب الاسباني ! مدريد سوف تكون مقبرة الفاشست ! مقبرة فرانكو وزملائه الخونة وسادتهم الفاشست الاجانب !

مهزلة الحياد

ما كانت الحرب لتدوم هذه الشهور الطويلة ، لو كان الفاشست الاسبانيون يعتمدون على قواهم الداخلية فقط . فلو كان امام الشعب الاسباني فرانكو ورهطه فقط ، لكان قضي على حركة العصيان منذ زمن طويل ، ولما تحولت اسبانيا الى اتون ملتهب احترقت فيه وما زالت تحترق وسوف تحترق الوف الشباب والنساء والاطفال بقنابل وحوش الفاشستية .

ولكن الخونة ليسوا ولم يكونوا وحدهم ، فان هتلر وموسوليني كما قدمنا قد اشتركا في حبك المؤامرة وقدما وما زالا يقدمان لفرانكو كل ما يلزم لتدمير اسبانيا. ولسنا وحدنا القائلين بهذا، فالمانشستر غارديان» الانكليزية قالت بذلك منذ ابتداء الحركة ، وحتى جريدة « الجورنال »الافرنسية ، المعروفة بميولها الفاشستية اعترفت بذلك ضمناً في ٢١ تموز ، اي بعد ابتداء العصيان بيومين .

ولكن حكومة بلوم الافرنسية التي تالفت على اساس انتصار الجبهة الشعبية في الانتخابات النيابية الافرنسية الاخيرة ، ظنت ان من المناسب ان تقترح على الدول الاوروبية ، في اوائل آب، عقد اتفاقية

بعدم التدخل في شؤون اسبانيا ، اذ ان ذلك يساعد حسب رأيها ، على اجتناب تحول المشكلة الاسبانية الى خلاف دولي ، قد تنفجر منه الحرب العالمية .

نعم لو ان كل الدول احترمت اتفاقية عدم التدخل احتراماً حقيقياً عملياً ، لكانت الحرب انتهت منذ زمن طويل — كما قلنا — بانتصار الشعب على العصاة ، بانتصار اسبانيا على الخونة .

اما ان يتقدم اقتراح بعدم التدخل ، بينما مدافع هتلر وطياراته تحصد اطفال اسبانيا ونساءها ، فذلك خروج عن العرف الدولي ، بل ذلك اشتراك غير مباشر في سفك دماء الشعب الاسباني الذي يبقى محروماً من حقه في شراء الذخائر والسلاح بموجب اتفاقية عدم التدخل .

يقول البعض : نعم ان هتلر ساعد العصاة في بادئ الامر ، وقد اقترحت الحكومة الافرنسية الحياد خصيصاً لاجل وقف هذه المساعدة . ولكن بعد ان انضمت كل الدول الى اتفاقية الحياد ، ووقع هتلر وموسوليني ايضاً عليها ، هل توقفت حقيقة مساعدة هذين المخلوقين للعصاة ؟

كلا والف كلا !

ان ممثل اسبانيا لدى عصبة الامم ، الفاريز دل فايو ، اثبت بالدلائل والوقائع المحسوسة ان المانيا وايطاليا لم تكفا عن تقديم الذخائر والاسلحة لفرانكو ، وان اتفاقية الحياد لم تؤد عملياً إلا الى حرمان الشعب الاسباني وحده من حقه المشروع في شراء الذخائر والاسلحة .

وكثير من جرائد العالم ، لا الشيوعية والاشتراكية فقط ،

سردت وما زالت تسرد اموراً ووقائع ملموسة تثبت دوام بل ازدياد دور المساعدت العسكرية لفرانكو .

ولذلك اعلنت حكومة الاتحاد السوفياتي، التي وقعت على اتفاقية الحياد كغيرها ولكنها احترمتها كما لم يحترمها غيرها ، بانه قد ثبت لديها ان ايطاليا والمانيا خرقتا الحياد ولم تكفا لحظة منذ ابتداء العصيان عن تزويد العصاة بالذخائر والاسلحة والرجال العسكريين ، ولذلك فحكومة الاتحاد السوفياتي لن تتقيد بالاتفاقية إلا بمقدار ما يتقيد بها سواها .

وقد تبين فيما بعد ان موقف الاتحاد السوفياتي كان صحيحاً عادلاً ، وان لجنة تطبيق الحياد في لندن ، فهمت ، كما يقول ليتفينوف ، كلمة « عدم التدخل » بصورة تتلخص في انها نفسها — اي اللجنة — لن تتداخل في مسألة التدخل في اسبانيا ...

ولم يعد الامر الآن موضوع مناقشة او جدال كما كان قبلاً ، بل انتهت الدول نفسها الى الاعتراف رسمياً بان اتفاقية الحياد قد فشلت، وبذلك اعترفت الدول ضمناً ان موقف حكومة الاتحاد السوفياتي كان صحيحاً لانها ادركت منذ عدة اشهر ما لم تفهمه فرنسا وانكلترا إلا الآن .

وعلى هذا ، تقدمت فرنسا وانكلترا ، في اوائل ديسمبر، باقتراح جديد على الدول يرمي الى : ١) اتخاذ تدابير تجعل اتفاقية الحياد فعلية نافذة . ٢) التوسط في الحرب الاهلية الاسبانية والسعي لوقفها .
وكانت حكومة الاتحاد السوفياتي اول حكومة وافقت على هذا

الاقتراح ، اما المانيا وايطاليا فاخذتا في المماطلة والتسويف في الاجابة على الاقتراح، واخذتا تضعان شروطاً واسئلة وتطلبان وقتاً للتفكير.. وغايتهما من وراء ذلك واضحة ، وهي اكتساب الوقت لتقديم اكبر كمية من الذخائر والاسلحة ، واكبر عدد من الجنود الالمان والطليان الى فرانكو، قبل ان يجري البحث بصورة جدية حول تنفيذ الاقتراح الانكليزي — الفرنسوي .

والغريب في موقف فرنسا وانكلترا ، انهما تعملان — منذ البداية — على تنفيذ اقتراحاتهما سلفاً ، اي حتى قبل وصول الجواب من المانيا وايطاليا ، اي بعبارة اخرى : ان فرنسا وانكلترا تقاطعان سلفاً حكومة الجمهورية الاسبانية ، ثم تتقدمان الى هتلر وموسوليني راجيتين منهما الاقتداء بهما وعدم مساعدة فرانكو . وهذان يسوفان ويماطلان ويطلبان وقتاً للتفكير ، وقد يوافقان مبدئياً ونظرياً ويضعان اخيراً توقيعهما بعد ان يبح صوت المستر ايدن والمسيو دلبوس رجاء ، ولكنهما يتابعان في الوقت نفسه الاعتداء على اسبانيا مع حليفهما فرانكو .

ويبرر الساسة الافرنسيون والانكليز هذا السلوك بقولهم انه احسن وسيلة لحفظ السلام واجتناب انفجار خلاف دولي وحرب عالمية . وهذا منتهى الخرق وقصر النظر . اذ ان هذا السلوك ليس سوى تشجيع لهتلر وموسوليني الذين يعملان ليل نهار — بالاتفاق مع اليابان — على تهيئة الظروف التي تسمح لهما باعلان حرب استعمارية هائلة مهلكة .

فلو ان فرنسا وانكلترا قالتا لهتلر وموسوليني — كما فعلت

حكومة الاتحاد السوفياتي ــ قد ثبت انكما ساعدتما فرانكو كل المساعدة ، فاذا استمرت مساعدتكما ولم تكفا عن ذلك في مدة معينة ولم توافقنا على اتخاذ التدابير التي نقترحها لاجل تطبيق اتفاقية الحياد تطبيقاً فعلياً حقيقياً ، فاننا ــ عندئذ ــ نجد انفسنا حلاً من تعهداتنا ونعود الى تنظيم حرية التجارة مع حكومة اسبانيا الشرعية .

وعندها تكون النتيجة غير النتائج التي رأيناها الى الآن ، عندها يرى هتلر وموسوليني ان « البلف » والجعجعة لا يفيدان ، فيتراجعان امام موقف فرنسا وانكلترا الحازم ، ويصبح السلام العالمي في امان ، ويبعد خطر الحرب ! اما ان يتراجع المستر ايدن والمسيو دلبوس ويتقهقرا امام « بلفات » و « تهويشات » هتلر وموسوليني ــ استاذي البلف والتهويش ــ فذلك معناه تهديد السلام ، وتقريب خطر الحرب ، وتشجيع الدولتين الفاشستيتين في ما ترميان اليه من مآرب وخطط مجرمة .

ولو فرضنا لحظة واحدة ، ان فرانكو ، بنتيجة اتفاقية « الحياد» المزيف ، احرز النصر ونال الظفر . فمعنى ذلك ان هتلر استولى على قاعدة مكينة في البحر المتوسط . وتكون عندها الحرب ، الحرب المريعة ، التي تصبح بلادنا العربية اولى ساحاتها ومن أهم ميادينها .

فنحن العرب ، لا نريد الحرب . ولذلك لا نريد ان ينتصر فرانكو بنتيجة ضعف الحكومات الديموقراطية وقصر نظرها ؛ بل نريد ان يأخذ العدل مجراه ، وعندها يسحق الشعب الاسباني العصيان بكل سهولة .

ولذلك لا يمكننا السكوت عندما نرى هذا الشعب الباسل خاضعاً لتطويق وحصار فظيعين ، بينما ان هتلر لم يعد يكتفي بتزويد فرانكو بالعدد والذخائر فقط ، بل اخذ ينزل في قاديشه وحدات كاملة من الريخسفير — الجيش الالماني — بكامل معداتها الحديثة العصرية .

اننا واثقون بالتعبير عن شعور ملايين العرب في كل الاقطار عند ما نصيح مع عشرات الملايين من اخواننا في الدنيا كلها :

ارفعوا الحصار عن الشعب الاسباني .

تطوع عمال العالم للدفاع عن اسبانيا

اذا كانت الحكومات الديموقراطية تغمض عيونها على الحالة الواقعة ، ولا تزال مستمرة في مقاطعة الشعب الاسباني وحكومته الشرعية ، فالامر ليس كذلك فيما يتعلق بالشعوب .

فمنذ اليوم الاول من عصيان فرانكو ، انتشرت حركة واسعة في كل الاقطار لجمع المساعدات المالية والاطعمة والاوائل الطبية والادوية لابناء الشعب الاسباني . في فرنسا جمعت ملايين الفرنكات ، وفي الاتحاد السوفياتي وحده جمعت عشرات الملايين .

ولما وصلت جيوش الفاشستي فرانكو الى ابواب مدريد واستفحل الخطر ، لم تكتف الشعوب بارسال الدراهم والاغذية ، بل اخذت في تقديم ارواح احسن ابنائها لانقاذ اسبانيا من الفاشستية ، انقاذ العالم من الحرب ، وانقاذ الانسانية من الرجعية السوداء والبربرية ، فتوسعت

حركة التطوع التي جرفت الوف العمال والمهندسين والمعلمين والكتاب الذين تركوا آلاتهم ومكاتبهم ومنابرهم ودفاترهم وترددوا بلباس الجندي البسيط وذهبوا افواجاً الى مدريد ، ليساعدوا اخوانهم الاسبانيين بخبرتهم العسكرية والفنية وشجاعتهم وتجاربهم ، دون مقابل بل خدمة بريئة للانسانية ، للسلام والاخاء بين الشعوب .

وهكذا تألفت الفرقة الاممية في اسبانيا ، وفيها الافرنسيون والالمان والطليان والبلغار والانكليز والعرب . وقد لعبت هذه الفرقة دوراً هاماً في صد هجوم الجيوش الفاشستية عن مدريد .

وقد تطوع في هذه الفرقة الاممية حتى الساعة التي نكتب فيها هذه السطور ، مئات العرب ، من الجزائر وكل شمالي افريقيا . مئات من العرب البواسل الذين تركوا بيتهم وعملهم وذهبوا للاشتراك بارواحهم في محاربة الرجعية السوداء . وفهموا ان الدفاع عن مدريد هو دفاع عن الحق ، دفاع عن العرب انفسهم ، دفاع عن الاقطار العربية كلها : بلادنا العزيزة المظلومة التي يهددها انتصار فرانكو والفاشست بمصير افظع واستبداد اوحش وظلم اكبر .

مئات من العرب ذهبوا متطوعين في جيش الحرية ، بملء ارادتهم واختيارهم ، فرفعوا اسم العرب وبرهنوا للعالم بان بعض المراكشيين الذين ساقهم فرانكو في جيوشه — بالخداع او بالتهديد وضرب السياط مقابل بضع دريهمات تدفع عن عائلاتهم غائلة الجوع — هم مخدوعون ، لا يمثلون ارادة الشعوب العربية التي تناضل في سبيل حريتها ، والتي لا تستطيع ان تشاطر في قتل شعب باسره .

هل يحارب فرانكو الشيوعية فقط ؟

« محاربة الشيوعية » او « محاربة الماركسية » اصبحت كلمة على «الموضة» تتردد ليل نهار على افواه الفاشست في كل الاقطار .

« نريد انقاذ المدنية من الخطر الاحمر »! هذا اول ما تسمعه من موسوليني وهتلر ومن العسكريين الفاشست واليابان ومن دوريو ودى لاروك في فرنسا ، ومن اوسفالد موزلى في انكلترا، ومن فرانكو طبعاً ، فاشستي آخر زمان !

والجنرال كيبودولانو السكير العربيد ، زميل فرانكو ، لا تسمع منه في حديثه عن الجيوش الجمهورية الاسبانية عندما يتكلم كل مساء امام راديو اشبيلية الا «الجيوش الماركسية » و« الفصائل الحمراء» و« الميليشيا الشيوعية » .

وكثير من الجرائد العربية تتخذ هذه اللهجة نفسها في اخبارها ومقالاتها عن حوادث اسبانيا . سواء لانها مخدوعة ام لانها تتعمد ذلك « تجنياً للرأي العام العربي وخدمة للفاشستية» .

ولكن هذه الاسطورة لم تعد تخدع احداً !

الفاشستية ليست عدو الشيوعية فقط ، بل عدو كل فكرة تقدمية، سواء كان حاملها شيوعياً او اشتراكياً او وطنياً او كاثوليكياً او راديكالياً اوجمهورياً . هذا من جهة .

ومن جهة اخرى ، اصبحت « محاربة الشيوعية » حجة

تستر مآرب الفاشست الحربية والاستعمارية .

واليك ايها القارئ بعض ما قاله في هذا الصدد ، السيد اوسوريو غالاردو ، وهو كاثوليكي اسباني معروف ومحام كبير وعضو الوفد الاسباني في جمعية الامم ومؤسس الحركة المسيحية الاجتماعية في اسبانيا ، وكان وزير الاشغال العامة في عهد الملكية في اسبانيا . فهو اذاً ابعد الناس عن الشيوعية والماركسية .

قال السيد غالاردو في الخطاب الذي القاه في ١٠ تشرين الاول ١٩٣٦ ، في المؤتمر الاوربي للدفاع عن الجمهورية الاسبانية :

« لقد سمعتم من يزعمون ان الحرب الاهلية وقعت في اسبانيا لان اسبانيا كانت تحت سيطرة حكومة شيوعية ، بل حكومة مغرقة في شيوعيتها ! فانا ، ولست شيوعياً ولا اشتراكياً ، اقول لكم ان هذا الزعم باطل (تصفيق في قاعة المؤتمر) .

« ان انتخابات شباط اسفرت عن انتصار الكتلة المؤلفة من احزاب الجبهة الشعبية ، اي الجمهوريين اليمينيين والجمهوريين اليساريين والاشتراكيين اليمينيين والاشتراكيين اليساريين والشيوعيين والجمهوريين الكاتالونيين والجمهوريين الباسك (وهم كاثوليكيون يمينيون) . وكان يؤيد هذه الاحزاب النقابيون وحتى الفوضويون .

وقد وضعت كل هذه الاحزاب وكل نقابات العمال ، برنامجاً جمهورياً محضاً واظهرت احزاب العمال استقامة تثير الاعجاب » .

ثم تطرق السيد غالاردو الى حكومة السيو كيروغا التي تألفت بعد انتخابات شباط وكانت في دست الحكم عند قيام فرانكو بعصيانه :

« كانت هذه الحكومة بورجوازية ، جمهورية ، بل حكومة ذات ميول محافظة . فاذاً عندما يقولون لكم كان في اسبانيا حكومة شيوعية ، تستطيعون اجابة القائلين : انتم كاذبون !

« وبعد ذلك اندلعت الحرب ، فاخذت الدولة الاسبانية التي خانها قوادها العسكريون وهاجموها، تجمع افراد الشعب ، العمال والفلاحين، والفت فرق الميليشيا المسلحة وكان من الضروري بحكم المنطق ولاجل حفظ التناسب بين القوى السياسية ، تأليف حكومة من جميع احزاب الجبهة الشعبية ، وعندها اخذوا يقولون عن الحكومة الجديدة « حكومة شيوعية » . فاسمحوا لي ان اعدّ لكم الرجال الذين يؤلفون هذه الحكومة »...

وهنا عدّ الخطيب افراد الحكومة التي فيها اشتراكيون وجمهوريون ويساريون ويمينيون ووطنيون باسك، وشيوعيان فقط في وزارتي الزراعة والمعارف . ثم قال متابعاً :

« شيوعيان فقط ، ومع ذلك تقرأون وتسمعون دائماً هذه العبارات : « الحكومة الحمراء »، « الرجال الحمر الذين يسيطرون على اسبانيا »، « الرجال الذين يعملون تحت اوامر موسكو »، « رجال ستالين »، ومع ذلك لا يوجد سوى شيوعيين اثنين فقط .

« هل تريدون ان تعرفوا من هم اشد المحافظين واكثر المعتدلين بين الوزراء ؟ اعلموا اذاً انهما الوزيران الشيوعيان !

« تسمعون غالباً في كلام البعض عن العصاة هذه العبارة : « انهم يدافعون عن الدين » . يدافعون عنه ؟ ... بمعونة المغاربة دون شك ! »

ثم يقول : « اسمحوا لي ان اتكلم قليلاً عن نفسي . انا الكاثوليكي المدافع عن حرية العقيدة ، هل يجب ان اكون في جانب مضطهدي الحرية ؟ انا ، ذو المذهب الحر ، هل يجب ان اكون في جانب الفاشستية التي تنكر كل الحريات ؟... انا الذي كنت حقوقياً كل حياتي ، هل يجب علي ان اكون في جانب اناس ينكرون الحق ويقدسون العنف والقوة ، كلا ! ثم كلا !

« يقول لي الصحافيون غالباً : كيف تكون ، وانت الكاثوليكي المحافظ ، في جانب الحكومة الحالية ؟... وجوابي بسيط جداً : لان هؤلاء ، انصار الحكومة ، في جانبهم العقل والحق والعدل وهم ضحية خيانة لا تغتفر ، خيانة ظاهرة لا جدال فيها ، بل خيانة يصعب تصورها ! »

هل سمعت ايها القارئ كلام هذا المحامي الكاثوليكي ؟ . عندما قام فرانكو بعصيانه لم يكن في الحكومة اشتراكيون ولا شيوعيون بل كانت الوزارة مؤلفة من عناصر بورجوازية محضة . واليك ما يقوله في هذا الصدد المسيو جيرال ؛ رئيس الوزارة السابقة التي خلفه فيها كباليرو ؛ في حديث مع مراسل الانترانسيجان الباريسية في ٧ آب :

« كانت الحكومة مؤلفة بعد انتصار الجبهة الشعبية في انتخابات شباط من عناصر جمهورية يسارية ؛ ما عدا الاشتراكيين والشيوعيين ؛ وكانت مهمتها واضحة تتلخص في تطبيق برنامج الجبهة الشعبية الذي كان من احد بنوده الاساسية الاصلاح الزراعي ! وقد بدأت السير في هذا الاصلاح الزراعي بصورة سريعة ؛ مما اثار حركة رجعية قوية

بين كبار اصحاب الاراضي ! » .

وقد قلنا من جهتنا في مجرى الكلام ، ان مسألة الانقلاب الاشتراكي واقامة حكومة عمال سوفيانية ، ليست موضوعة على بساط البحث في اسبانيا . واليك ما يقوله في رد مزاعم الفاشست ، الرفيق هرناندز ، النائب الشيوعي الاسباني ووزير المعارف في الوزارة الاسبانية الحالية ، في تصريح ادلى به الى ممثلي الصحافة الاجنبية في ٧ آب :

« لقد ألبست الصحافة الاجنبية الحركة الحالية لباساً لا هو بالصحيح ولا بالمفيد لصالح النظام الحالي . فقد قرأت في الصحافة الاجنبية ان الحركة الحالية (اي تدابير الحكومة) هي حركة اجتماعية . اما في الحقيقة فليس في هذه الحركة اي شيء اجتماعي . انها ليست حركة بروليتارية (اي حركة عمال) بل هي ثورة بورجوازية ديموقراطية . وقد اضطرت القوى الشعبية للتسلح لان الجيش كله تمرد ، ولم يكن هنالك وسيلة اخرى للتغلب على العصاة . فالعمال لم يتسلحوا الا للدفاع عن الجمهورية .

« وقد اراد الاعداء الاستفادة من ذلك للقول بان الشيوعيين يقومون بلعبة مزدوجة وانهم يريدون انتهاز هذه الفرصة لاقامة الشيوعية في اسبانيا ، وليس هناك افسد من هذا الزعم ، فاننا ندافع عن الجمهورية الديموقراطية ولا يمكننا ان نتكلم اليوم عن ثورة بروليتارية لان الظروف التاريخية لا تسمح بذلك ، فيجب علينا ان نناضل في بادئ الامر ضد كبار ملاكي الاراضي » .

واسمع الآن ايها القارئ هذا النداء من دولوريس ايباروري ،

هذه المرأة المقدامة الباسلة ، معبودة الشعب الاسباني الذي يسميها «باسيونارية» وهي نائبة شيوعية في البرلمان الاسباني . قالت في نداء القته بالراديو في مدريد في ٣٠ تموز :

« الحزب الشيوعي مستعد بكل جوارحه للدفاع عن الجمهورية الديموقراطية . اننا نقوم الآن بالثورة البرجوازية التي تمت في فرنسا منذ قرن واتي ترمي الى محو الجهل الذي منع التقدم الاقتصادي والاجتماعي في اسبانيا . والشيوعيون في طليعة هذا العمل الوطني ، فليلوح اذاً القواد المتمردون الخائنون بشبح الشيوعية ما شاؤوا .

« لقد دمر العصاة الآثار والحلى الفنيةالتي جمعتها اسبانيا خلال عدة عصور ، بينما ان ميليشيا العمال تحمي رجال الدين .

« ان الشيوعيين الامناء على مثلهم العليا الثورية ، قد وقفوا بجانب الحكومة . واننا نطلب من الديموقراطيين الافرنسيين والانكليز ان يمنعوا تدخل الدول الفاشستية التي تحاول خنق اسبانيا . اننا نناضل في سبيل السلام والحرية وسوف نوجه الضربة القاضية للفاشستية العالمية .

« اذا انتصر العصاة ، يكون ذلك بادئة الحرب العالمية التي نخشاها جميعاً .

« لتحيى اسبانيا العظيمة الهائلة ، لتحيى اسبانيا السعيدة ! لتحيى اسبانيا الديموقراطية » .

هل سمعت ايها القارئ ؟ اننا نحسب في كل هذا الكفاية وفوق الكفاية للرد على مزاعم فرانكو وكل الفاشست الذين يريدون اخفاء مآربهم السوداء وراء ستار « محاربة الشيوعية » .

فليس الشيوعيون الاسبانيون الذين ارادوا واثاروا الحرب الاهلية. بل فرانكو والفاشست الاسبانيون ، بمساعدة هتلر وموسوليني ، هم الذين اوقدوا نار المجزرة !

وليس الاتحاد السوفياتي هو الذي يريد ان يستفيد من الفرصة لفرض نظام سوفياتي بالقوة على اسبانيا ، بل هما هتلر وموسوليني اللذان يريدان فرض النظام الفاشستي بالقوة والعنف والدماء في اسبانيا والاقطار الاخرى ، لاجل الوصول الى مآربهما الحربية والاستعمارية .

ويقول لتفينوف ، مفوض الشعب للشؤون الخارجية ، في المؤتمر السوفياتي الثامن الذي انعقد في موسكو في ٢٥ تشرين الثاني :

«يؤكد اعداؤنا اننا نطمح الى اقامة دولة شيوعية سوفياتية في اسبانيا ، بل يزعمون ايضاً اننا نريد ضمها الى الاتحاد السوفياتي (ضحك في قاعة المؤتمر) . ان هذه القصص المعدة لصغار الاولاد وكبار الحمق تنشر وتروى لتشويه المعنى الحقيقي المقصود من اهتمامنا بحوادث اسبانيا .

« اننا امام حوادث اسبانيا ، تجاه اول صنف من المحاولات التي تقوم بها الفاشستية للخروج من حدود وطنها . اننا امام محاوله ترمي لاقامة النظام الفاشستي في اسبانيا من الخارج وبواسطة العنف والقوة» !

وحجة « محاربة الشيوعية » هذه ، كما قدمنا ، لم يستعملها الفاشست في حوادث اسبانيا فقط ، بل في كل محاولاتهم واعمالهم .

فهذا هتلر بحجة « محاربة البولشفية » سفك دماء الالوف من

العمال والمتنورين والاشتراكيين والجمهوريين ، وحرق كتب آنشتين العالم المشهور في الدنيا كلها ، ومؤلفات هنري هايني شاعر الانسانية كلها ، واكداساً غيرها من الكتب العالمية والادبية التقدمية .

واليابان بحجة « محاربة الشيوعية » استولت على منشوريا وكل الصين الشمالية وسفكت دماء مئات الالوف من العمال والوطنيين الصينيين ، وتقوم الآن بحرب شعواء للاستيلاء على منغوليا الداخلية .

وفي الجزائر وتونس وكل شمالي افريقيا ، تقوم الموظفون الفاشست بكل انواع المؤامرات السافلة على العرب ، ويحاربون كل تدبير يرمي الى تحسين حالتهم باسم « محاربة الشيوعية » .

وهل يبعد ان نسمع ان موسوليني استولى على الحبشة وفتك بابطالها ونسائها وابنائها لانقاذها من « شيوعية » النجاشي ؟

كلا ! اللعبة لم تعد « تمشي » على احد ! واصبحت مآرب الفاشستية واضحة لدرجة ان رجال الحكومات انفسهم والساسة المسؤولين مضطرون الى اتخاذ موقف الحذر امام المؤامرات التي تجري باسم « محاربة الشيوعية » .

وكانت آخر هذه المؤامرات « اتفاقية محاربة الاممية الشيوعية » التي عقدت في برلين بين اليابان والمانيا . وقد قالت اكبر الجرائد الانكليزية والافرنسية ، البعيدة كل البعد عن الشيوعية والاشتراكية ، بان « الاتفاقية عسكرية استعمارية حربية محضة » .

وقالت جريدة « ازفيستيا » السوفياتية في هذا الصدد بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٣٦ :

« ليست اتفاقية برلين سوى ستار يغطي اتفاقية عسكرية سرية بين دول معتدية . ان الاتفاقية التي عقدت بين المانيا الفاشستية واليابان العسكرية ليست موجهة ضد الاتحاد السوفياتي فقط بل ضد الاقطار الاخرى ايضاً .فكل واحد من الموقعين يرى في هذه الاتفاقية آلة لتحقيق مشاريعه الاعتدائية الرامية الى الاستيلاء على بلاد اخرى . فاليابان ترى فيها وسيلة لتوطيد سيادتها على آسيا الشرقية وفي المحيط الهادئ ، والمانيا ترى فيها وسيلة للاستيلاء على اوربا والشرق الادنى » .

او بعبارة اخرى ان البلاد العربية هي احدى الغنائم التي يرمي الفاشست الى افتراسها واستعمارها بحجة محاربة الاممية الشيوعية .

وحشية الفاشست في اسبانيا

يعمل الفاشست والرجعيون في اوربا على نشر المقالات الطوال عن « الفظائع المزعومة» التي ترتكبها جيوش الجمهورية الاسبانية. وغايتهم من ذلك وصم الديموقراطيين بالوحشية والهمجية وحمل الناس على الاعتقاد ان فرانكو يحاول انقاذ المدنية من بربريتهم .

ومن المؤسف ان نرى بعض الجرائد العربية تردد هذه المزاعم والاساطير، ناسية او متناسية ان كل حركة قامت بها الشعوب العربية نفسها ، في اي قطر كان ، في سبيل الدفاع عن حقها المهضوم ، كان نصيبها من الجرائد الرجعية التشويه نفسه الذي تلاقيه الآن حركة

الشعب الاسباني في الدفاع عن حريانه واستقلاله . ألم يتهمونا ، نحن العرب ، باننا في عام١٩٢٩ ، و ٣٣ ، و٣٦ ذبحنا اولاد الصهيونيين واطفالهم في فلسطين. وحرقنا في سني ١٩٢٥ و ٢٦ المزارع والبيادر ودمرنا البيوت في سوريا ، وفي عام ١٩٣٥ حاولنا افناء كل الاجانب في مصر . واننا الآن في سوريا نتذابح لاجل خلافات دينية بين المسلمين والمسيحيين ؟ ..

وعندما استعمرونا، ومزقوا بلادنا ، وشتتوا شملنا ، ألم يقولوا بانهم يريدون تمديننا وانقاذنا من « الوحشية » التي نعيش في مجاهلها ؟

وموسوليني ألم يقل — دون حياء — انه يستعمر الحبشة ويفني نساءها وابناءها والالوف من شبابها لتمدينها وانقاذ اهلها من الرق والعبودية ؟

ومع ذلك انا اعرف وانت تعرف ايها القارئ ان العرب لم يخربوا ولم يدمروا ولم يتذابحوا .وان غيرهم كانوا المخربين والذابحين، بل ان اولئك الذين يتهموننا كانوا هم انفسهم المدمرين والمحرقين ومثيري المذابح والفتن !

وهذا نفس ما يجري الآن في اسبانيا !

جيوش فرانكو ترتكب ما لا يوصف ، ما يخجل منه الحيوان، والجرائد الفاشستية تروي اساطير مرعبة عن « الحمر الذين يسلخون النساء ويشوون الاولاد ويفقأون عيون الاسرى » !

اعترفت اكثر جرائد الدنيا — حتى الرجعية منها مضطرة — بان من اسباب عدم استيلاء جيوش الشعب الاسباني على قصر طليطله الكازار دو توليدو » ، ان هذه الجيوش لم ترد سفك دماء بريئة .

فان العصاة الفاشست عندما اضطروا امام حملة الشعب الى الانسحاب الى القلعة، جروا معهم بالقوة مئات النساء والاطفال الابرياء، ليستعملوهم ترساً امام هجوم جيوش الشعب . وفي الحقيقة حاصر الشعب المسلح القلعة اياماً طويلة دون ان يقوم بهجوم حاسم نهائي خوفاً من سفك دماء النساء والاولاد الابرياء . وجرت مفاوضات طويلة بين الشعب والعصاة ، وتداخل سفير شيلي ايضاً ، لاجل اخلاء سبيل هؤلاء الابرياء ، ولكن العصاة ابوا، عارفين ان عواطف جيوش الحكومة الانسانية ستمنعها من تعريض حياة النساء والاولاد الى الخطر .

وهكذا كان ، فقد مرت الايام ، والشعب صابر مكتف بالحصار ، حتى اتت النجدات للعصاة فتغلبوا على الجيوش الجمهورية التي نفذ سلاحها .

هذا شيء من اشياء تشهد على العواطف الانسانية النبيلة التي تنخر صدور محاربي الشعب الاسباني الابطال .

وتجاه ذلك انظر ما يفعله الفاشست الذين يريدون « انقاذ المدنية » .

ساعة كتابة هذه السطور كل جرائد الدنيا الرجعية اوالتقدمية، تنشر اخبار تدمير مدريد . كل يوم تقريباً ، عشرات الطيارات الالمانية والايطالية ، التي تخدم في جيوش فرانكو ، تحلق فوق مدريد وتلقي اطناناً من القنابل والمحرقات على احيائها الشعبية . ولماذا ؟... لماذا يدمر فرانكو عاصمة البلاد التي يسميها بلاده ويدعي العمل على انقاذها ؟

منذ اكثر من شهر تحاصر جيوش فرانكو مدريد دون ان تتمكن من دخولها ، بل كان نصيبها الاندحار تلو الاندحار امام شجاعة المدافعين واخلاصهم .

كل قنابل ومدافع موسوليني وهتلر لم تمكن فرانكو من تنفيذ وعده بالاستيلاء على العاصمة خلال بضعة ايام ، كما اعلن عند ابتداء الحصار . وعندها قرر القاء الذعر والدمار بين السكان . فلم يحاول فقط القاء القنابل على الثكنات والمطارات والخنادق بقصد اضعاف الجيش ، كما تقتضي قواعد الحرب ، بل اخذت الطيارات تلقي القنابل المحرقة — أتسمع ايها القارئ ؟ .. القنابل المحرقة — على الاحياء الشعبية في العاصمة .

ان تدمير مدريد من افظع ما عرفه التاريخ من اعمال الوحشية! تدمير مدريد يسجل الى الابد بحروف دامية العار والخزي على الفاشستية !

نحن العرب نعرف التدمير . ذقنا ويلاته انفسنا ، ففي استطاعتنا ان نقدر وحشية فرانكو وزملائه الفاشست !

مئات من الاولاد ، من الاطفال الابرياء ، كانوا يمرحون ويغنون ، كانوا يضحكون ضحكتهم الرنانة الصافية ، كانوا يتقلبون بين اذرع امهاتهم واخواتهم الحنونة ، فاتت الطيارات الفاشستية والقت القنابل في جموعهم ، على مدارسهم وبيوتهم ، فاذا بهذه المخلوقات الصغيرة الجميلة منطرحة هنا وهناك اشلاء دامية مبعثرة !

لقد فاجأها الموت وهي تلعب ، وهي تضحك ... واذا نظرت

الى صورجثثها في بعض الصحف رأيت على أكثر الوجوه ضحكات وابتسامات جمدت على الافواه عندما فاجأها الموت ؟

لقد قتلهم فرانكو وهتلر وموسوليني ، لانهم لم ينجحوا في التغلب على آبائهم واخوانهم واخواتهم الذين بنوا سوراً من فولاذ حول مدريد بصدورهم !

هذا منطق فرانكو الفاشستي : اذا لم تمكني من قتالك قتلت ابنك واباك وامك !

اذا لم امكن من دخول مدريد ، احرقتها ودمرتها وجعلتها ركاماً فوق جثث سكانها !

فمن الانسان ايها القارئ ؟ ... ذاك الذي يدمر مدريد ، انتقاماً لاندحاره امام المدافعين عنها . اما ذاك الذي يقف شهوراً امام قلعة طليطلة ويفضل التعرض للاندحار على تدميرها وسفك دماء النساء والأولاد الابرياء الذين سجنهم الفاشست فيها ؟

ولم تقتصر بربرية الفاشست على تدمير مدريد . لقد قاموا بفظاعات حيوانية في كل مكان . لقد قتلوا ويقتلون كل الاسرى الذين يقعون في ايديهم ، ويمزقونهم ارباً ويحرقونهم احياء بالبترول .

عندما ابتدأ حصار مدريد ، وقع احد الطيارين الجمهوريين في ايدي العصاة ، فمزقوه ارباً ، ووضعوا كل جسمه في كيس وحملوه في طيارة والقوه على مدريد . وقد ذكرت اكثر صحف اوروبا هذا الحادث باشمئزاز ونفور .

اما المذابح التي قاموا بها عندما استولوا على باداجوز وسان سباستيان وايرون فمن الصعب وصفها .

قال مراسل باري سوار في ٢٨ تموز ١٩٣٦، يصف ما رأى في سان سباستيان بعد دخول العصاة اليها : « شاهدت في الطابق الرابع عشرين من انصار الحكومة قد قطعت جثثهم ومزقت بصورة مفزعة. فقد كانت جثثهم ملقاة على الارض واذرعهم ممتدة الى جوانبهم وعلى بطونهم جروحاً بشكل الصليب اجريت عليهم وهم احياء قبل قتلهم » .

وتقول هافاس نفسها في ١٧ آب ١٩٣٦ عن اعمال العصاة بعد دخول باداجوز :

« لم يتوقف القتل والاعدام طيلة ليلة امس ونهار اليوم. ويقدر عدد المعدومين الى الآن بالف وخمسمائة ، وبين الضحايا كثير من الجنود والضباط الذين دافعوا عن البلد . وفي الوقت نفسه عشرات من الأهالي قتلوا رمياً بالرصاص قرب الساحات العامة » .

ومما قالته ، في ١٥ آب ، « الكوتيديان » ، الجريدة المحافظة الباريسية ، ما يلي:

« اذا هاجم فرانكو ومولا وكيبو دي لانو كاتالونيا لاجل توحيد اسبانيا على الطريقة الهتلرية ، فلن يبقى فيها خمسة على عشرة من الكاتالونيين على قيد الحياة . أهذه نتيجة انقاذ اسبانيا ؟ كلا ! لا اتمكن انقاذ بلاد بافنائها » .

وكتب مراسل « باري سوار » الى جريدته الباريسية ، يصف اعمال جنود الفرقة الاجنبية في آلماذار ليخو بعد دخول العصاة اليها:

« ... ها قد اتوا بفلاح آخر . انهم يأمرونه برفع يديه الى فوق ، فيرفعهما ولكنه يطبق قبضته : انه يحيي تحية الجبهة الشعبية وهو ذاهب

الى الموت . فهوي احد الجنود الفاشست بقبضة مسدسه ضرباً على اصابع الفلاح ويجبره على فتحها . ثم يأخذونه .

« ولكن الى اين يذهبون بهؤلاء الرجال ؟... اننا بعد قليل، بغير قصد منا، اثناء مرورنا في احدى الساحات، رأينا جثثهم ملقاة قرب احد الجدران .

« ورأينا جنود الفرقة الاجنبية يحطمون بمؤخرة بنادقهم باب احد المنازل ثم يكسرون كل ما يجدونه ويجعلونه فتاتاً ، ببطء ورخاوة فظيعة .

« وبعد قليل يفرغ هؤلاء جيوبهم امامنا : فهذا يعرض لانظارنا حلقاً ، وذاك سواراً ذهبياً يظهر حالاً انه كان يطوق ذراع فتاة صغيرة.. الخ .. ويسألوننا بفضول : كم يساوي هذا السوار او ماقيمة هذه الساعة ؟ » .

هذه بعض اعمال الفاشست ، وهي تجري طبقاً لخطة عامة وضعها القواد العصاة ، وليست كما قد يتصور البعض ، اعمالا وحشية فريدة يقوم بها البعض فقط .

فقد وجد انصار الحكومة على احد الضباط العصاة الذي وقع اسيراً في جبهة غواديراما (شمال غرب مدريد) وثيقة مطبوعة فيها تعليمات من الجنرال مولا . وتقول هذه الوثيقة التي نشرتها جريدة « الديلوفيو » في برشلونه ، في ٣١ تموز ١٩٣٦ :

« لاجل ضمان تقدمنا ، من الضروري ارهاب العدو . ولهذه الغاية ، عندما يحتل جنودنا مركزاً ماهولاً ، يجب القيام حالاً باعدام رجال السلطة في هذه المراكز . واذا لم يعثر على هؤلاء ، يجب

اعدام العائلات التي نأسرها . ويجب ان يجري الاعدام جهراً وان يلبس لباساً مؤثراً ، ليعرف الجميع كيف نعامل من يثور ضدنا. ومن الثابت ان أهم ما يضعف معنويات قوة محاربة ، هو ان ترى هذه القوة ان العدو يهاجم المستشفيات وفرق نقل الجرحى . فيجب ان لا ننسى هذا الامر الهام الذي تعلمناه من الحرب العظمى ».

بعد قراءة هذا تذكر ، ايها القارئ ، ما قدمناه في الفصل الاول عن التعليمات التي يعطيها الضابط الهتلري شوزلاند للطيارين الالمان ، فيظهر لك بوضوح صحة ما قلناه من ان الفاشست الاسبانيين يفهمون « المدنية » و « انقاذ البشريه » ، كما يفهمها هتلر !

انظروا الآن بعض تعليمات اللجان الشعبية التي تدير الشؤون في المناطق والجهات التي في ايدي الجمهوريين ، والميليشيا الشعبية .

في آراغون على جبهة تارفينتا ، نشر رئيس الفرقة التعليمات التالية :

« كل شخص من الميليشيا او من الاهالي ، يرتكب اعمال نهب ، او يعتدي على حرمة المساكن ، او يقوم بدون اذن بتفتيش المنازل ، تعاقبه اللجنة العسكرية اشد العقاب .

« يعاقب عقاباً صارماً ، حتى بالاعدام ، كل الصناعيين ومديري المعامل او المزارع ، الخ... الذين لا يبدأون بعد عشر ساعات من نشر هذا المرسوم ، الاعمال التي من شأنها تأمين الحياة العادية في هذه المدينة .

« نظراً لان الحصاد شيء مقدس لتأمين مصالح الشعب العامل ، فليعلم كل الفعلة الزراعيين وصغار اصحاب الاراضي ، بانه من تاريخ اليوم يجب العودة الى اعمال الحصاد بكل نشاط وسرعة ... الخ ..

«من ساعة نشر هذا المرسوم، تصبح كل الاراضي والمعامل والاموال .. الخ .. التي تخص الملاكين الذين انضموا الى الفاشست، ملكاً لشعب تارفينتا».

وقالت جريدة «الانفورماسيون فينانسيير» الافرنسية بتاريخ ١٥ آب عن الحالة في برشلونه:

« بعد قنصل كولومبيا، قدم قنصل بريطانيا العظمى، وهو عميد القناصل في برشلونه، تهانئه علناً للسلطات المحلية ومنظمات العمال للتسهيلات التي قدمت للرعايا البريطانيين في الظروف الحالية.

« ويبرهن هذا المديح من قبل السلطات القنصلية على ان ادارات المصالح العامة تقوم بعملها كما يجب، وان النظام تام، وان حياة الاجانب واموالهم ليست معرضة لاي خطر في كاتالونيا. وعلينا ان نضيف الى ذلك، خدمة للحقيقة، ان منظمات العمال تسهر بصورة خاصة على ان يكون الاجانب موضع الاحترام».

وهكذا نرى بوضوح من كل ما تقدم، ان السلطات الشعبية تقوم بعمل انساني كبير، وتضمن السلام والامان بين السكان.

كما اننا نرى كذلك انه ليست هنالك تدابير شيوعية ولا اشتراكية في اسبانيا وان الاملاك التي صودرت هي فقط املاك الخونة الذين باعوا شعبهم وبلادهم واستقلال وطنهم، وانضموا الى فرانكو لاجل خدمة هتلر في استعمار اسبانيا. وقد اتخذت اثناء الثورة الافرنسية نفسها تدابير من هذا النوع ضد الخونة الذين غادروا فرنسا ووقفوا في جانب الجيوش البروسية وسواها التي كانت تعمل على مهاجمة فرنسا وخنق الثورة فيها.

— ٣ —

الريف، فريسة الفاشست!

...

كيف يخدع فرانكو العرب في مراكش

تكتب بعض الصحف العربية عن تجنيد فرانكو للريفيين وارسالهم الى اسبانيا للموت في سبيل مآربه الفاشستية المجرمة، وترى ذلك امراً طبيعياً، لا يثير فيها الاشمئزاز ولا يدفعها الى الاحتجاج! بل هناك صحف — ولا ندري أتفعل ذلك عن وعي أم عن عدم ادراك — تهلل لعمل فرانكو في الريف، ولا تتورع عن تشبيه دخول عرب الريف اسبانيا تحت لواء فرانكو، بحملة طارق بن زياد! وعندما تعثر هذه الصحف في اعمدة «غرينغوار» و«جوسوي بارتو» و«والايكو دي باري» وغيرها من الصحف الفاشستية الغربية، على نبأ كاذب يزعم ان جنود فرانكو المراكشيين دخلوا مدريد، تجن فرحاً وتنشر عنواناً ضخماً طويلاً على ثلاثة اعمدة يقول: آن للمراكشيين اخيراً ان ينتقموا لانفسهم من الاسبانيين!.. كما لو كان مستعمر الريف هو الشعب الاسباني، لا سادة فرانكو واجداده، اصحاب اللاتيفونديا، وكبار الاقطاعيين وكبار الجزويت.

ولا ندري أتعرف هذه الصحف أم تجهل كيف تمكن فرانكو من خداع الشعب المراكشي، والى اية اساليب التجأ في سوقه كالغنم

الى اسبانيا ! ولكنها سواء كانت تجهل هذا الامر ام تعرفه ، ليس لديها ما يبرر موقفها . اذ ان من واجبها ان تفهم ، على الاقل ، وتفهم قراءها : اولا ، ان ذهاب بعض العرب كمرتزقة لخدمة مآرب مستعمر اجنبي عار عليهم . ثانياً ، ان انتصار فرانكو لن يزيد الا في استعباد مراكش واضطهادها وارهاقها الوطني والاجتماعي .

لقد بحثنا فيما تقدم جوهر الفاشستية ، وانها افظع حركة استعمارية عرفها التاريخ ، وبينا ان انتصارها بصورة عامة لا يعود على كل الشعوب العربية — ومنها الشعب المراكشي — إلا بتقوية نير الاستعباد على اعناقها !

ولم تكن مساعي ومناورات فرانكو في الريف إلا برهاناً جديداً على قولنا !

لم يقل فرانكو طبعاً للمراكشيين انه فاشستي واستعماري فظيع يريد محو الديموقراطية في اسبانيا واخضاع الشعب الاسباني بالقوة لديكتاتورية عسكرية فاشستية ، ليضمن لسادته اصحاب الملايين الاسبانيين استثمارهم الفظيع وحكمهم المطلق على اسبانيا وعلى مستعمرتهم مراكش الاسبانية !

فماذا قال فرانكو اذن ، وماذا صنع حتى تمكن من سوق الوف المراكشيين الى أتون الحرب التي اشهرها على شعبه ؟ اننا لا نحسب القارئ — مهما كمل تصوره وسما خياله — بقادر على تصور مافعله فرانكو .

عندما قام فرانكو بعصيانه قال للمراكشيين انه مسلم ويريد انقاذ « الاسلام » !

ولتثبيت قوله تمكن من اجبار بعض اصحاب الطرق — بالقوة والعنف او بالمال — على تأييد قوله . وهكذا وجد من كتبوا رسالة طويلة الى الشعب المراكشي يزعمون فيها انهم رأوا فيما يراه النائم ، النبي الكريم ، وسمعوه يقول لهم بانه قد آن وقت انقاذ الاسلام ، وارسل الله فرانكو لرفع شأنه وانقاذ المسلمين .

وقال فرانكو ايضاً انه يعمل على انقاذ العرب من نير حكومة مدريد ، وانه عند انتصاره سيعطي الريف استقلالاً وحرية وكياناً وطنياً ! ولاجل اتمام « بلفته » — اعطى عبد الخالق طوريس — كما قدمنا — مقداراً من المال لاصدار جريدة اسمها « الريف » لتسبح بحمده وتخدم مآربه .

ثم ذهب فرانكو الى ابعد من هذا : فادعى — دون حياء — انه يريد ان يعيد ملك العرب ومجدهم في الاندلس !

وفوق هذا ، استفاد من فقر العرب وبؤسهم ، ووعدهم ببضعة دراهم اذا قبلوا ان يحاربوا معه « لاجل انقاذ الاسلام » ، ورضوا بالذهاب الى اسبانيا لاجل « اعادة مجد العرب في الاندلس » ! .

ولما لم تكف كل هذه الاكاذيب ، لجأ الى مناورة استعملها قبله موسوليني تجاه العرب خلال الحرب الايطالية — الحبشية ، فقال انه يريد عمالاً لبناء الطرق في اسبانيا . ولما لم تكف كل هذه الطرق « لبلف » المقدار الذي يطلبه من المحاربين ، استعمل التهديد والسوط بل والرصاص .

وعندما قام بعض المسلمين ، واشراف اصحاب الزوايا ، يبشرون بان الاسلام يحرم على المسلمين الحرب في خدمة مستعمر اجنبي ،

كان نصيبهم الغياب والاختفاء الى حيث لا يعلم احد ، بل الى حيث يعلم الجميع !

وبعد هذا لا تتورع بعض الصحف عن سرد الاقاصيص والخرافات عن ذهاب المراكشيين للانتقام لانفسهم من استعباد الاسبانيين وارهاقهم، ولا ترى في اعمال فرانكو سخرية من العروبة وهزءاً بالاسلام !

اسمع ، ايها القارئ ، ما يقوله ايليا اهرنبور ، الكاتب السوفياتي العالمي المعروف، عن احد الاسرى المراكشيين الذين وقعوا في ايدي الجيوش الجمهورية ، في مقال من سلسلة مقالات نشرها في مجلة «ريكار» الافرنسية تحت عنوان « وجوه من اسبانيا » :

« ... ثم تكلمت معاسير عربي اسمه محمد بن احمد ، وكان ذا شاربين غريبين محلوقين من وسطهما ، وعينين براقتين ملؤهما الحنان والقساوة والجفاء . وكان مطرق العينين . وقد قال لي:« لقد وعدونا في مراكش بثلاث بزيتات (فرنكات اسبانية) كل يوم . اننا فقراء وقد قالوا لنا باننا سنذهب الى أشبيلية لحضور استعراض كبير . وانا لا عرف من يحاربنا ، قلو لي اطلق النار فاطلقت » .

« لم يكن يحاول تبرير ذنبه ، ولا يتخذ هيئة الغطرسة ولا يمدح نفسه ، بل كان ينظر الى الارض دون مبالاة ، ظاناً انهم سيقتلونه بعد قليل . وعندما اتوه باناء الطعام ، اخذ يتناول الحساء بفرح .

«وكان افراد الميليشيا يقولون:« هذا مغربي » ! فتذكرت معارك غرناطة وقرطبة ! تذكرت عار الملك رودريك ، تذكرت قصر الحمراء بعظمته وفخامته، فاختلط في رأسي دوي المدافع بحفيف صفحات قديمة منسية .

« اما المغربي فكان يأكل الحساء ، صامتاً ساكناً . انه كان يجهل « اللعبة » !

نعم ان هذا الرجل ، قاهر باداجوز ومدريد، و « منقذ اسبانيا من البربرية الموسكوفية » ، لم يكن يعرف شيئاً عن خداع اليسوعيين (الجزويت) ولا عن طيارات « سافواى - مارشيتي » ، ولا عن غضب عمال مدريد .

« انه كان يعيش عيشة سيئة في بيته ، ولم يكن يجد ما يأكله عند جوعه ، وكان يشتغل شغلاً قاسياً منهكا . وقديماً كان اجداده يعلمون الاسبانيين الهندسة والشعر والطب .

« انه لم يكن سوى بقية حضارة كبرى ، وابن ارض تعيسة منهوبة ، فوضعوا ثمناً لحياته مقداره ثلاث « بزيتات » في اليوم ، وامروه في باداجوز ان يقتل الاسرى رمياً بالرصاص . وهو اليوم ينتظر الموت .

« ولما انتهى من الاكل ، ازاح الاناء جانباً ، فقدموا له علبة سكاير وقال له احد افراد الميليشيا : « سوف نذهب بك الى مدريد حيث تبقى اميناً هادئاً الى انتهاء الحرب وبعدئذ تعود الى بلادك » .

« فاخذ عندئذ محمد بن احمد يفهم ويدرك ، ونظر الينا بعينين تائهتين جامدتين ، وانقبضت يده السمراء بحياء ورفع قبضته بجهد . انه كان يتذكر ما فعلته هذه اليد . فرفع افراد الميليشيا بدورهم قبضاتهم باسمين !

« اما محمد بن احمد ، ابن الارض المستعبدة ، محمد بن احمد ، المرتزق المغلوب ، محمد بن احمد العربي ذو الكبرياء والنفس المريرة ، فكان يبكي ! »

هل سمعت ايها القارئ ؟... هل عرفت الآن قيمة خرافات بعض الجرائد عن فرانكو « منقذ الاسلام »؟

نعم ! لقد عرف الريف انواع الاضطهاد والاستبداد ، عرف اكثر من غيره تدمير المدافع ، وخبر اكثر من غيره نار الرشاشات الاستعمارية ، وقاسى الريف في نضاله لاجل حريته واستقلاله انواع العذاب والوان الويلات ! ولكن الريف يقاسي منذ ١٨ تموز ، منذ قيام فرانكو بعصيانه، ما لم تقاسه اية بلاد عربية من هزء بالاسلام وسخرية من العروبة !

أجل ! لقد قام فرانكو في مراكش الاسبانية باحط الناورات واسفل المساعي ، باسم « انقاذ الاسلام » !

لقد قام فرانكو بما يخجل الحجر ، بما يذكرنا عهد اجداده القدماء اتباع « محاكم التفتيش » ، باسم « اعادة مجد العرب» !

ان كان بين العرب والمسلمين من يتردد في اتخاذ موقف من الفاشستية ، او لا يفهم جوهر الفاشستية ، ولا يرى فيها افظع حركة استعمارية عرفها التاريخ ، فيكفيه ان يعرف اعمال فرانكو في الريف، لاجل ان يحارب الفاشستية في كل مظاهرها ان كان فيه ذرة من العروبة الصحيحة ، ان كان يفهم شيئاً من روح الاسلام ، ان كان لديه مقدار ذرة من الغيرة على العرب .

نحن لا نغالي ولا نرمي الى التهويل ، ولم يدفعنا الى هذا الكلام كوننا اعداء الفاشستية والاستعمار فقط ، بل يدفعنا الى هذا ، على الخصوص ، غيرتنا على كرامتنا ، غيرتنا على كرامة العرب ، كرامة اوطاننا ، كرامة شعوبنا .

اجاع المستعمرون الاسبانيون — اجداد فرانكو وزملاؤه — شعب الريف واستعبدوه ونهبوه ، بل قتلوه نهباً وتجويعاً واستعباداً!

لقد طردوا الفلاحين من مزارعهم ، وحاربوا الثقافة العربية واللغة العربية ، ومنعوا تقدم الريف الاقتصادي والصناعي والاجتماعي والسياسي .

واغرق آباء فرانكو واصحابه عام ١٩٢٥ ثورة عبد الكريم بطل الريف في الدماء واحرقوها بالنار وسحقوها بالحديد، ولكنهم لم يستطيعوا الهزء بالعروبة ، بل خرجت العروبة من مراحل نضال اخواننا المراكشيين مرفوعة الرأس .

والآن اتى فرانكو ، وريث هؤلاء السفاحين ، فلم يكتف بمتابعة سياسة التجويع والنهب والارهاق ، بل عندما قرر اعلان عصيانه راح يحاول جعل العروبة العوبة في يديه والاسلام آلة للوصول الى مآربه . ومع ذلك نرى بين العرب ، و « الساسة العرب » ، من لا يخجل من استنكار نداء رياض الصلح ولا يستحي من تأييد ومساعدة فرانكو وسيديه هتلر وموسوليني !

والآن لا ندري كيف يستطيع اعوان فرانكو في الاقطار العربية تبرير سلوكهم ، بعد ان بددت الحوادث الاخيرة كل شك ممكن حول المصير الذي يهيؤه فرانكو والفاشست لمراكش الاسبانية !

فقد حملت البرقيات في الايام الاخيرة انباء واضحة عن احتلال المانيا مراكش الاسبانية ، وبنائها الثكنات والقلاع فيها وانزالها جيوش الرايخ فيها في سبته وطيطوان : فان مقاومة الشعب الاسباني

الباسلة وانهيار مشاريع هتلر وموسوليني حول دخول مدريد في بضعة ايام واقتناعهما يوماً بعد يوم بان انتصار خادمهما فرانكو ليس مضموناً بل مسألة فيها نظر، وازدياد خطورة الحالة العالمية بصورة موازية لذلك، كل هذا دفع هتلر الى كشف القناع عن وجهه بسرعة وتنفيذ برنامجه في احتلال اسبانيا ومراكش حالاً قبل ان تفوت الفرصة وقبل ان يندحر فرانكو اندحاراً نهائياً .

فالذين ساعدوا فرانكو وسموه «محرر مراكش» قد خدعوا العرب اذاً وخانوهم افظع خيانة وستروا عنهم حقيقة مآرب هتلر وخادمه فرانكو ، اذ قد ساعدوهما عملياً على احتلال مراكش الاسبانية ، وتسهيل استعمارها من قبل المانيا الفاشستية !

أهذا المصير الذي ارادوه لعرب الريف ؟... الويل للخونة، يالعارهم امام العروبة، امام التاريخ ، امام الاجيال !

اما نحن، فقد قمنا بواجبنا نحو بلادنا وشعوبنا ، إذ قلنا منذ البداية ان مصلحة الاقطار العربية هي في محاربة فرانكو واسياده وزملائه الفاشست افظع الاستعماريين !

نعم قلنا منذ البداية ونقول الآن وسنقول دائماً ، ان مصلحة العرب القريبة والبعيدة ، تحتم عليهم تأييد الشعب الاسباني المتمثل الآن في جبهته الشعبية وحكومته الجمهورية ، فان انتصاره على الفاشست سيضمن للريف تخفيف وطأة الاستعباد وحياة انسانية ديموقراطية تسمح للمراكشيين بالسير بنجاح في تنظيم صفوفهم ونضالهم في سبيل حريتهم التامة واستقلالهم الكامل !

مراكشي هارب من جحيم فرانكو يتحدث

عثرت في احدى الصحف الصادرة في الجزائر على فصل ممتع نقل فيه كاتبه — وهو صحافي افرنسي — ما افضى به اليه شاب مراكشي عربي هارب من جيش فرانكو زاره في ادارة الجريدة . قال الصحافي :

كنت هناك مع بعض رفاق ، افرنسيين وعرب ، في ادارة الجريدة نتحدث بشتى الشؤون . واذا بالباب يفتح ويدخل علينا رجل كبير القامة، عريض الكتفين ، يرتدي جلابة قاتمة اللون، ذي لحية كبيرة مربعة الشكل ، عرفنا حالاً انه مراكشي .

فطلب اليّ بلغة افرنسية مشوهة مقابلة شخص مسؤول للتحدث اليه عن امور مهمة. فدعوته الى الجلوس بجانبي بعد ان رجوت احد زملائي العرب ان يطرح عليه بعض الاسئلة وان يترجم لنا اقواله. فبادره بالسؤال عن غاية مجيئه الينا وعن الامور المهمة التي يريد ان يفضي بها الينا .

فنظر الشاب المراكشي الينا بلهفة ، ثم بدأ حديثه قائلاً :

— انني من قبيله تقطن جوار « باب تازا » ؛ وقد ارغمت على الانخراط في جيش فرانكو مع كثير من اخواني تحت الضرب والتهديد . ولكني استطعت اخيراً الهرب والتخلص من الجحيم الهائل الذي كنت اعيش فيه . وقد اردت رؤيتكم والتحدث اليكم، على يقين

ان حزبكم الشيوعي وجريدتكم هما في طليعة مناصري الشعب الاسباني والمدافعين عن الشعوب المستعمرة .

ــ ولكن كيف استطاع هذا الخائن تجنيدك ؟

ــ ان الموالين للحركة الفاشستية هم الذين مهدوا الطرق لفرانكو لكي يقوم باعماله هذه ...

ــ من المؤسف طبعاً ان الجمهورية الاسبانية لم تضع حداً لاعماله بالموافقة على مطاليب شعبكم العادله ...

ــ اجل ، ... لقد استطاع فرانكو بعد اعلانه العصيان ان يجد له انصاراً حتى في مراكش الافرنسية ... لقد عرفتم بدون شك ان مؤتمر الطلاب الاسلامي لشرق افريقيا كان سيعقد في «رباط» في اليوم السابع من شهر ايلول الماضي . لكن الحاكم «بيروتون» منع عقده وقتذاك مما دفع فرانكو للسماح بعقد المؤتمر في « طيطوان » في سبيل استغلاله . وهذا العمل كان من شأنه ان اكسب فرانكو عطف بعض العرب الذين خدعوا باعماله الدنيئة وخصوصاً عندما دفع لاحدى الجرائد المراكشية خمسين الف « بزيتا » .

ــ كيف حصل تجنيدك ؟

ــ لقد داهمني اعوان الجنرال الخائن مفاجأة ــ ولا يخفا كم ان كل انسان كانت تسول له نفسه التمرد كان يعدم في الحال ــ فبعد ان جندت بهذه الطريقة الجبرية ، ارسلت الى مرفأ « سبته » فاعطيت لي ثياب ، ثم ارسلت الى « اشبيلية » . وهناك بصحبة بعض المراكشيين الذين جندوا بالطريقة نفسها ، اعطيت لنا بعض الدروس العسكرية الابتدائية ومن ثم ارسلنا الى جبهة القتال .

ـــ كيف كان يعاملكم الفاشست في جبهة القتال ؟ وكيف كان موقفهم في الحروب ؟

ـــ لقد كانوا يعاملوننا معاملة سيئة جداً ، ويكلفوننا القيام بشق الاعمال المرهقة. فيضعوننا في الصفوف الامامية ويعرضوننا لجميع الاهوال والمحن . وكنا دائماً تحت المراقبة . اما في الليل عندما كان يُعطى لنا شيء من الراحة فكانوا يضعوننا داخل احد المنازل بعد ان توصد ابوابه وينزع عنا سلاحنا .

«والافظع من ذلك ان الفاشست الاسبان كانوا يضعون على عاتقنا تبعة السلب والنهب والاعتداء على النساء وغيرها من الاعمال الهمجية الشائنة التي كانوا يرتكبونها هم عند استيلائهم على القرى .

ـــ ما رأيك في نداء رياض بك الصلح ؟

ـــ ان النداء المذكور هو عين الصواب . وقد ابتدأ المراكشيون يفهمون ان الفاشستية هي عدوتهم اللدودة، لانها تقتل الآمنين وتجوع الشعب وتحرمه من حقوقه وحرياته .

ـــ وهل تشعرون حقيقة بذلك ؟

ـــ كيف لا ... لقد ساقونا الى الحرب بعد ان وعدونا باعطائنا استقلالنا، في حين ان فرانكو كان ينتمي الى عصابة سبق لها ان غزت بلادنا وقطعت بشعبنا . وفرانكو هو صديق موسوليني الذي استعمر طرابلس الغرب واغتصب الحبشة ، وصديق هتلر الذي يطالب الآن بمستعمرات .

ـــ وهل يحترم فرانكو على الاقل عاداتكم الدينية ؟

— كلا انه ضد الاسلام، فقد كان يجرنا كل مرة الى اخذ البركة من الاسقف قبل التوجه الى الخطوط الامامية... ورغمنا هو ورجاله على تعليق اقونة في رقابنا، عليها صورة المسيح والقديسين. زد على ذلك انهم كانوا يطعموننا لحوم الجياد الميتة، في حين ان ديننا يمنعنا عن اكل لحوم الجياد . وهناك اشياء عديدة اخرى يجب ذكرها . عندما جندنا الفاشست قسراً، وعدونا بان اجرتنا ستكون دوامم اسبانية «بيزيتاس»، ولكن بدلاً من ذلك كانوا يعطوننا ماركات المانية لا يقبلها احد منا. وصفوة القول انهم ضحكوا علينا وهزؤا بنا .

— ولكن ما هو تأثير هذه الاعمال على معنوية الجيوش المراكشية ؟

— ان الاستياء العام يسود هذه الجيوش والهرب من الصفوف يزداد يوماً عن يوم . ففي الجبهة كما في مراكش يظهر الشعب سخطه ضد ديكتاتورية فرانكو بشكل شديد . واحدث برهان على ذلك هو ثورة «طيطوان»، حيث امتنع ثمانمائة من اخواننا عن الذهاب الى اسبانيا، مما دفع السلطات الى اعادة حريتهم لهم . وهذا الامر ليس الوحيد من نوعه ففي كل يوم ينضم الكثيرون من المراكشيين الى صفوف الحكوميين ... وليسوا هم الوحيدون بل هناك اربعمئة الماني انضموا مؤخراً الى صفوف الميليشيا الحكومية .

— كيف تكون، حسب رأيك، نهاية هذه الثورة ؟

— ان الشعب الاسباني سينتصر بالرغم من امدادات المانيا وايطاليا للثورة، لان الحق والعدل والحقيقة في جانبه. وان الشعوب العربية ستنتصر هي بانتصاره، لانها ليست غريبة عن مثل هذه العواطف الانسانية السامية .

— ٤ —

هل انتصار الفاشستية محتم ؟..

...

لمن الغلبة : ألّلحق أم للباطل ؟

كيف تكون نهاية الحرب في اسبانيا ؟... هل ينتصر الشعب الاسباني في حماية استقلاله الوطني وحرياته الديموقراطية من اعتداء فرانكو وجيوش هتلر وموسوليني والفاشست البرتغاليين ؟..

هذا سؤال يتردد على شفاه كل الناس ، على شفاه كل من يعرف المصيبة الكبرى التي تنتظر السلام والبشرية باجمعها اذا انتصر فرانكو.

وقبل ان نجيب على هذا السؤال ، ونظهر وزن كل من القوتين المتقاتلتين في اسبانيا ، نرى من الواجب الرد على سؤال آخر : هل انتصار الفاشستية بصورة عامة امر محتم ، لا يمكن اجتنابه ؟..

منذ اربع سنوات تقريباً ، عندما مرت السلطة الحكومية في المانيا الى ايدي هتلر ، تساءل الناس عن هذا الامر بقلق . وكان جواب ديميتروف ، بطل قضية ليبزيغ ، وقائد عمال العالم : كلا ، ان انتصار الفاشستية ليس حتماً ، بل يمكن اجتنابه اذا عرف العمال وكل الديموقراطيين كيف يحاربون خطر الفاشستية ، ويصدون هجومها في الوقت المناسب. وقد برهن الحزب الشيوعي الافرنسي ، بصورة عملية ، ان صد هجوم الفاشستية ممكن ، وقد تمكن العمال والديموقراطيون

الافرنسيون، بفضل يقظة الحزب الشيوعي الافرنسي وخطته الصحيحة من منع الفاشستية من الوصول الى السلطة ، والقضاء على كل مساعيها منذ ثلاث سنوات .

وفي المؤتمر السابع للاممية الشيوعية ، الذي انعقد في شهر آب عام ١٩٣٥ ، عدّد ديميتروف في خطابه التاريخي — الذي نقله الى العربية رفيقنا نقولا شاوي — الشروط التي يجب ان تعمل كل الشعوب على تحقيقها لاجل حماية الديموقراطية من بربرية الفاشستية . وقد لخص ديميتروف هذه الشروط في نقاط اربع :

قال ديميتروف :

« ان امكان اجتناب انتصار الفاشستية يتوقف ، قبل كل شيء ، على النشاط الكفاحي الذي تبديه الطبقة العاملة نفسها وعلى جمع كل قواها في جيش مناضل موحد يحارب هجوم الرأسمال والفاشستية . فالطبقة العاملة، بعد ان تحقق وحدتها الكفاحية ، تشل نفوذ الفاشستية على الفلاحين والبورجوازية الصغيرة في المدن وعلى الشبيبة والمتعلمين ، وتنجح في دفع قسم من هذه الجماعات الى الحياد ، وجذب القسم الآخر الى جانبها .

« ثانياً ، يتوقف ذلك على وجود حزب ثوري قوي يقود نضال الشغيلة جميعاً ضد الفاشستية قيادة صحيحة . اما الحزب الذي يدعو العمال بصورة مستمرة الى التراجع امام الفاشستية ويسمح للبرجوازية الفاشستية بتقوية قواعدها ، ان حزباً كهذا يسوق العمال حتماً الى الفشل والاندحار .

« ثالثاً ، يتوقف ذلك على صحة سياسة الطبقة العاملة تجاه الفلاحين

وجماهير البرجوازية الصغيرة في المدن ، اذ من الواجب اكتساب هذه الجماهير كما هي ، لا كما نريدها ان تكون . فان هذه الجماهير لن تتخلى عن شكوكها وترددها الا في مجرى النضال ، ولن ترتفع الى درجة عالية من الادراك الثوري والنشاط الا اذا عرفنا ان نتخذ موقف الصبر وطول البال تجاه ترددانها المحتومة ، واذا عرفت الطبقة العاملة ان تقدم لها مساعدتها السياسية اللازمة .

«رابعاً، يتوقف ذلك على يقظة العمال الثوريين وحنكتهم في اعمالهم وحركاتهم . فيجب علينا ان لا نسمح للفاشستية بمفاجأتنا على حين غفلة ، ولا نترك لها مجال الابتداء بمختلف الحركات ، وان نوجه لها ضربات حاسمة قبل ان تتمكن من جمع قواها ، وان لا نسمح لها بتقوية نفسها ، وان نرد عليها ونجابهها خطوة لخطوة في كل مكان تظهر فيه ، وان لا نسمح لها بالاستيلاء على قواعد جديدة : اي علينا ان نقوم بما تحاول القيام به الطبقة العاملة الافرنسية الآن (تصفيق في قاعة المؤتمر) .

« هذه هي الشروط الاساسية لاجتناب تقدم الفاشستية ووصولها الى الحكم » .

وقد حقق الشعب الافرنسي هذه الشروط ولا يزال يحققها عملياً . وبذلك تمكن من التصدي لخطر الفاشستية ومنعها من الوصول الى الحكم ، ولا يزال يحارب كل مناوراتها ويضعفها ولا يسمح لها بالتقدم والتطور .

وقد حققت الطبقة العاملة الافرنسية وحدة قواها بتأليف الجبهة الموحدة بين الحزبين الاشتراكي والشيوعي . وقد ساعد ذلك على تقوية

الحزبين معاً . فاصبح في الحزب الاشتراكي اكثر من ١٧٠ الف عضو وهو يزداد يوماً بعد يوم . اما الحزب الشيوعي فقد اصبح اقوى حزب سياسي في فرنسا ، وعدد اعضائه يقرب من ٣٥٠ الف عضو ، واصبح له في البرلمان ٧٢ نائباً بعد ان كانوا عشرة فقط ، وغدت جريدته «الاومانيته» اقوى جريدة سياسية في فرنسا ، تطبع يومياً اكثر من ٤٠٠ الى ٤٥٠ الف عدد . هذا عدا عن الشبيبة الشيوعية التي يتجاوز عدد اعضائها اكثر من ١٥٠ الف شاب .

وحققت كذلك الطبقة العاملة الافرنسية وحدتها النقابية ، فانضمت المنظمتان النقابيتان الكبيرتان : تحالف العمل العام وتحالف العمل العام الموحد ، في منظمة واحدة اتخذت اسم : تحالف العمل العام ، وقد سمح ذلك بتوسيع حركة العمال النقابية توسيعاً عظيماً . فبينما كان عدد اعضاء المنظمتين منذ اقل من سنة ، عند اندماجهما ، لا يتجاوز المليون والمئتي الف ، اصبح الآن عدد اعضاء تحالف العمل العام يتجاوز الخمسة ملايين ، ويزداد هذا العدد كل يوم بضعة آلاف .

وعدا ذلك حقق الشعب الافرنسي ، كما قدمنا ، تآلفه واتحاده في تنظيم الجبهة الشعبية للنضال ضد خطر الفاشستية والحرب التي تضم الاحزاب السياسية الآتية : الحزب الراديكالي ، والراديكالي الاشتراكي ، وحزب الاتحاد الاشتراكي الجمهوري ، والحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي ، وتضم كذلك تحالف العمل العام بملايينه الخمسة ، ومئة منظمة ديموقراطية اخرى من منظمات الفلاحين والصناع والمتعلمين ومختلف المنظمات الثقافية والرياضية والعلمية .

وفي الانتخابات البرلمانية الافرنسية الماضية ، التي جرت في اوائل ايار ١٩٣٦ ، حصلت احزاب الجبهة الشعبية على اكثرية ساحقة وتألفت حكومة ليون بلوم التي تستند على تأييد الجبهة الشعبية للعمل على تحسين حال الشعب الافرنسي وحماية حرياته الديموقراطية وتوسيعها والوقوف في وجه الفاشست والدفاع عن السلام ونشر الديموقراطية في الاقطار التابعة لفرنسا .

وهكذا برهن الشعب الافرنسي عملياً على صحة كلام ديميتروف الذي قال بان اجتناب انتصار الفاشستية ممكن . ولا بد لنا هنا من الاشارة الى ان توحيد الشعب الافرنسي على هذا الشكل ، يعود الفضل الاكبر فيه الى الحزب الشيوعي الافرنسي ، وعزيمة قائده وسكرتيره العام الرفيق موريس توريز صديق العرب ، والمدافع الى النهاية عن مطاليبهم الوطنية والديموقراطية . ومن الواضح ان نفوذ الحزب الشيوعي الافرنسي الكبير على جماهير العمال والشغيلة الافرنسيين يزداد يوماً عن يوم ، اذ ان كل الجماهير تشعر عملياً انه من اكبر واقوى العوامل في المحافظة على سلامة الجبهة الشعبية وتقويتها وحمايتها من هجمات الفاشستية ومساعيها .

فالجبهة الشعبية الافرنسية قوية اذاً . وتزداد قوة يوماً بعد يوم . وكل عربي يحب بلاده ويريد ان يوفر عليها ويلات استعمار فاشستي فظيع لا بد ان يغتبط لذلك كما بينا آنفاً ، ولا بد ان يؤيد الشعب الافرنسي وجبهته الشعبية في نضالها ضد الفاشستية ، ضد دي لاروك ودوريو وتارديو وسادتهم اصحاب الملايين الافرنسيين ، فندل وشنيدر وسواهما ، ضد هؤلاء الطغاة الذين يسميهم الشعب الافرنسي : المائتي

هائلة ، التي تستثمر الشعب الافرنسي ، كما تستعمر العرب في سوريا ومراكش والجزائر وتونس ، وتمتص دمائهم ، وتريد تخليدهم في اسفل درجات الذل والاضطهاد ، وتحارب امانيهم الوطنية ، ومطاليبهم الديموقراطية !

ويؤسفنا طبعاً ان نرى بعض الوطنيين العرب لا يفهمون هذا الامر ، مما قد يسوقهم الى ارتكاب اكبر جناية على الحركات الوطنية العربية والشعوب العربية باجمعها .

نعم ان بعض الوطنيين، الذين لا يرون الواقع ، ولا يدخلون في اعماق الامور ولا يعرفون حقيقة الحالة في فرنسا ، يظنون ان من الذكاء والحنكة السياسية ان يتدبروا الامور بصورة لا تغضب الفاشست الافرنسيين ، اذ من يدري فربما انتصروا يوماً في فرنسا ، فيجب اذاً السعي منذ الآن لعدم اغضابهم ! ولذلك يحاولون المناورة بين الجبهة الشعبية الافرنسية والفاشست الافرنسيين ، اي بين الشعب الافرنسي وبين افظع الاستعماريين الافرنسيين !

اننا نرى من واجبنا تجاه اوطاننا وتجاه التاريخ ان نصرح لهؤلاء: « ان ماتفعلونه خرق في الرأي، بل قصر في الادراك السياسي، ستحملون كل مسؤوليته امام العرب وامام الاجيال .

« اعلموا جيداً ان مصلحة الشعوب العربية تقتضي النضال ضد الفاشستية في كل مكان ، فافهموا مسؤوليتكم في هذا النضال !

« اذا كنتم تفكرون بامكان التوفيق بين مصالح العرب الوطنية ومطامع الفاشستية ، افظع الاستعماريين ، فانكم تخدعون انفسكم وتخدعون العرب !

« واذا ما انتصر الفاشست : فاما ان تكونوا امناء لمصالح الشعوب العربية وامانيها الوطنية، وعندها يكون نصيبكم من الفاشست الطرد والتشريد والسجون ومعسكرات الاعتقال بل المشنقة وفأس الجلاد! واما ان تضحوا بأماني العرب الوطنية ومصالحهم الحيوية وتخضعوا خضوع العبيد للفاشست وتخدموا مآربهم الاستعمارية الفظيعة وتصبحوا معهم اعداء لبلادكم وشعبكم ووطنكم !

« فاتركوا اذاً سياسة التزلف للفاشست الافرنسيين والطليان والالمان وسواهم ولا تنخدعوا بوعودهم ، بل افتحوا عيونكم على الواقع فالتاريخ لا يرحم ! »

ومن اغرب الامور ان يؤخذ بعض ساسة العرب بالاقاويل ، دون ان يحاولوا البحث عن الحقيقة والواقع ! فمن المؤسف ان نرى مثلاً ان سخط العرب المشروع المقدس على الحركة الصهيونية المجرمة، يدفع البعض الى العطف على هتلر وتأييده !

اننا من اعداء الصهيونية الاشداء ، ولا نرى فيها الا حركة استعمارية تعمل على افناء اخواننا عرب فلسطين ؛ ولكننا كذلك اعداء هتلر الاشداء ، لاننا نعرف حقيقة مصلحة العرب ، لاننا نرى الامور كما هي ولا نؤخذ بالاحابيل والاقاويل ، لاننا نعرف ان هتلر يضطهد في بلاده كل حركة غير الحركة الفاشستية ، بينما يشجع الحركة الصهيونية التي تعمل علناً في صميم المانيا !

ان هتلر هو عدو الشغيلة اليهود وصديق الصهيونية !

اما نحن فاعداء الصهيونية واعداء هتلر معاً ، ونحن نستوحي موقفنا هذا من قانوننا الوحيد : خدمة مصلحة الشعوب العربية !

اسبانيا ستنتصر !

قلنا فيما تقدم ان الشعب الاسباني ايضاً استطاع ، بعد اخذ ورد عنيفين ، التغلب على هجوم الفاشستية،وتأليف الجبهة الشعبية التي نالت انتصاراً قوياً في انتخابات شباط ١٩٣٦.واوضحنا كيف ان القواد العسكريين الرجعيين واصحاب الملايين وكبار الاقطاعيين والجزويت الاسبانيين ابوا الخضوع لارادة الشعب ولجأوا الى العصيان واشهروا الحرب على بلادهم لفرض حكمهم المطلق بالحديد والنار ، وخانوا في سبيل ذلك وطنهم وتآمروا مع هتلر وموسوليني على استقلال بلادهم.

وهكذا تحولت الحرب في اسبانيا الى حرب وطنية ، فالشعب الاسباني لا يحارب اليوم الملكيين والفاشست الاسبانيين والمراكشيين المخدوعين فقط ، بل يحارب قوة اكبر ، يحارب جيشاً فاشستياً نظامياً ارسله الى اسبانيا الفاشست الالمان والايطاليون والبرتغاليون .

لقد تمكنت فرق العصاة في بادئ الامر من احراز بعض التقدم بفضل الاموال والاسلحة والذخائر التي نالتها من الخارج،ولكنها لم تلبث ان اخذت تتقهقر وتندحر شيئاً فشيئاً امام الجيوش الجمهورية وفرق الميليشيا . وكانت خاتمة الحرب تقترب، وتبين للجميع قرب اندحار العصاة اندحاراً نهائياً وانتصار الشعب الاسباني انتصاراً حاسماً .

فلما رأى العصاة ان قواهم تنفذ وان كل السلاح الذي حصلوا عليه من الخارج لا يكفي للتغلب على شعب باسره يحاربهم ببسالة كبرى ،

توجهوا الى هتلر وموسوليني طالبين منهما ان يرسلا لنجدتهم عدا عن السلاح والذخيرة ، وحدات نظامية من قواها العسكرية. فبدأت حكومتا المانيا وايطاليا(بتأييد ومساعدة حكومة البرتغال) ترسلان الى اسبانيا وحدات كاملة من جيوشهما النظامية .

وهكذا اصبح من واجب الشعب الاسباني ان يبذل كل جهده لمجابهة الجيوش الفاشستية النظامية بجيش نظامي اسباني شعبي . وحكومة الجمهورية تمركز الآن كل انتباهها وجهدها حول هذه النقطة . وهي تسير بسرعة في تحقيق هذه الغاية ، لان الشعب باسره وكل الاحزاب السياسية والنقابات تؤيدها في خلق هذا الجيش وتقويته وتموينه. فحكومة الجمهورية وكل الاحزاب السياسية ترى الآن ان فرق الميليشيا المنتمية الى مختلف الاحزاب والنقابات التي كانت في بادئ الامر الشكل الوحيد الممكن لتنظيم مقاومة الشعب بسرعة،لم تعد كافية الآن بعد ان اصبح امام الشعب جيش نظامي مؤلف من القطعات الالمانية والايطالية والبرتغالية . فاسبانيا اليوم بحاجة الى جيش نظامي يتفوق على العدو بسلاحه ونظامه وقوة معنوياته ومقدرته على الكفاح، جيش موحد ذي قيادة موحدة تشمل كل الجبهات : مدريد،والوسط، وكاتالونيا، وبلاد الباسك ، واستوريا ، والجنوب .

ومن الواضح ان الظروف اللازمة لذلك متوفرة كل التوفر لدى الشعب الاسباني، فاكثر اراضي اسبانيا خصبة غنية، والمراكز الصناعية كلها في ايدي الشعب ، بينما ان الموارد الوطنية التي في ايدي العصاة قليلة جداً ، والانتاج تقريباً متوقف في مناطقهم ،فالمعامل تكاد تكون مقفرة، والفلاحون وكثير من الاهالي يهربون الى الاراضي الحكومية.فالمورد

الاساسي الذي يعتمد عليه العصاة لتأمين الطعام والمؤونة والذخيرة والسلاح والرجال، هو في الخارج لا في اسبانيا نفسها القائمة كلها لمحاربتهم!

وقد وجه الحزب الشيوعي الاسباني، نداء الى الشعب الاسباني، بين فيه ان اسبانيا تستطيع كل الاستطاعة التغلب على اعدائها ومتابعة الانتصارات التي احرزتها الى الآن. ومن ثم عدد الشروط الاساسية التي تضمن لاسبانيا انتصارها على اعدائها وحماية استقلالها وكيانها الوطني وحرياتها الانسانية. وهذه الشروط هي:

١ — ان يكون للحكومة الحالية — الممثلة فيها كل القوى التي لها تأثير ومراقبة مباشرة على الجماهير — سلطة مطلقة. وان يحترم الجميع — الافراد والمنظمات — قرارات هذه الحكومة وارباب سلطتها وان يطبقوا تلك القرارات ويسيروا بموجبها.

٢ — ان تفرض حالاً الخدمة العسكرية الاجبارية، فهي الوسيلة الوحيدة للاسراع في ايجاد جيش شعبي كبير يسوده النظام والطاعة الحديديين، اللذين لا بد منهما لضمان فائدته وقيمته العسكرية.

ان يوضع على رأس هذا الجيش قواد، اهليين وعسكريين، امناء للجمهورية والشعب. وان يكونا — الجيش والقيادة — محترمين من الجميع، وان تنفذ اوامرهما بدون نقاش.

. ان يباشر فوراً بتوحيد القيادة وجعلها في ايدي هيئة اركان حرب واحدة تدبر هي وحدها كل خطط الجيوش الحكومية في جميع الميادين. وان يوضع في هيئة اركان الحرب وفي مركز القيادة الموحدة، احسن العناصر العسكرية واقدرها، والى جانبها خيرة ممثلي الاحزاب والمنظمات النقابية الحائزين على ثقة الجماهير وعطفها.

وعلى الجميع ان يعملوا بموجب اوامرهم بدون جدال .

٣ ــ ان تفرض نظام حديدي على مجموع السكان البعيدين عن الجبهة وافهامهم بمرونة ولطف معنى هذه الحرب ، وذلك للقضاء على الفكرة الساذجة والخطرة معاً التي لا تزال منتشرة بين الفئة الكبيرة ، على ان الحرب لا تهم الا الاماكن التي تجري فيها القتال ، لا جميع الاهالي والسكان .

ان تكون التضحيات التي تقتضيها الحرب موزعة على جميع اهالي ومناطق اسبانيا .

٤ ــ ان تضع الدولة يدها على الصناعات الرئيسية في البلاد ، وفي الدرجة الاولى على الصناعات الحربية . وان تعيد تنظيمها من جديد لسد الحاجات المختلفة التي يتطلبها النضال من جهة والسكان عموماً من جهة اخرى . وعلى كل النقابات والاحزاب السياسية والعناصر المخلصة لصالح الشعب ، ان تعمل كل ما في استطاعتها لكي توجه جهود الجماهير نحو الهدف التالي : انتاج اكثر واحسن ما يمكن لتعجيل النصر .

٥ ــ ان يؤلف مجلس تعاون أعلى يجمع بين الصناعة والاقتصاد عموماً ، ويكون ممثل فيه كل مهندسي واختصاصي الجبهة الشعبية ، وهو وحده يدير وينظم الانتاج . وعلى كل فرد ان يحترم قراراته ويعمل بموجبها .

٦ ــ ان تنظم مراقبة العمال على الانتاج ، بشكل يجعل الادارة التي ستطبق هذه المراقبة تقوم بعملها وفقاً للخطة المرسومة من قبل مجلس التعاون .

٧ ــ ان ينتج في الارياف والقرى كل ما هو ضروري للجبهة

وللاهالي الباقين، وذلك على اساس خطة موضوعة من قبل ممثلي منظمات الفلاحين، واحزاب ومنظمات الجبهة الشعبية . ومن المبدأ احترام نتائج اعمال جماهير الفلاحين ، سواء كان افرادياً او اجماعياً، وضمان بعض الربح لهم عند بيع منتوجاتهم وتأمين اسواق وطنية ودولية لهم لتصريف تلك المنتوجات .

٨ ــ تنظيم الانتاج الزراعي والصناعي معاً ، وتوجيههما بكاملهما نحو هدف واحد : الانتصار في الحرب .

وهذه الشروط كلها ، كما قدمنا ، ممكنة التحقيق ، بل ان تحقيقها يسير بنجاح، واكبر دليل على ذلك نجاح مدريد في دحر فرانكو وجيوشه المتمردة اولاً ، ودحر قطعات هتلر وموسوليني

فاسبانيا الباسلة تجاهد اذاً ، وتجاهد ببطولة، للدفاع عن حريتها واستقلالها ، الدفاع عن السلام ، الدفاع عن البشرية التقدمية كلها !

فليعلم الفاشست ، طغاة الاستعمار واعوانهم ، ان اعمالهم البربرية الغابية لن تتحقق ، انهم لن ينجحوا في تسيير دولاب التاريخ الى الوراء !

كلا ان اسبانيا لن تغلب ! اسبانيا ستنتصر !

اسبانيا لن تكون فاشستية ! لان اسبانيا للشعب الاسباني !

فهرس

١ ــ الفاشستية أم الديموقراطية ؟

...

٢ ــ اسبانيا ! اسبانيا !

• • •

٣ — الريف ، فريسة الفاشست

• • •

٤ — هل انتصار الفاشستية محتم ؟

•••••••••

ـ تصحيح خطأ ـ

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٨	١٧	غيرها	غيرها
١٢	١٩	اولدتها	ولدتها
١٣	١٧	اهوائهم	اهواءهم
٢٢	١١	حكام	احكام
٨٦	٣	٣٥٠ الف	٣٠٠ الف
٨٦	٧	١٥٠ الف	١٠٠ الف

وقد يوجد ايضاً بعض هفوات اخرى يصححها القاريء من نفسه

الثمن : ١٠ قروش سورية

جميع الطلبات باسم : خالد بكداش - دمشق * سوريا

مطبعة الكشاف - بيروت